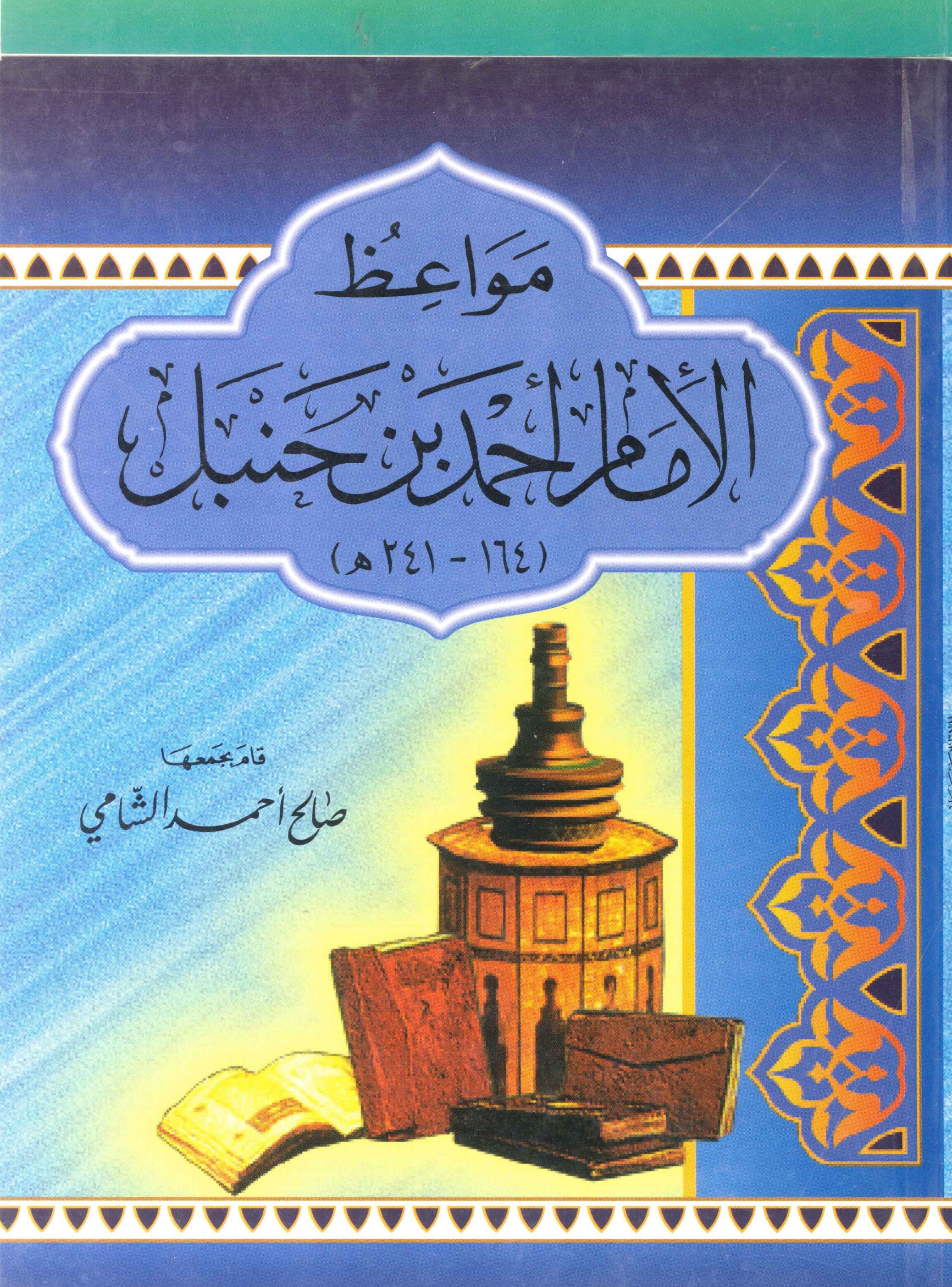


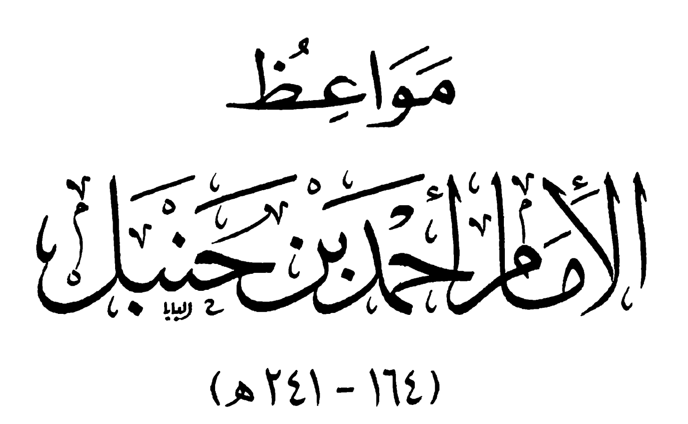
مواعظ الإمام أحمد بن حنبل

(١٦٤ - ٢٤١ هـ)

قام بجمعها
صالح أحمد الشامي

المكتب الإسلامي

معالم في التربية والدعوة



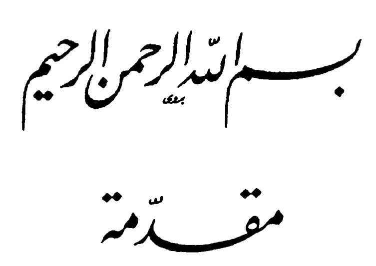
قام بجمعها
صالح أحمد الشّامي

المكتب الإسلامي

الطبعة الأولى
١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

المكتب الإسلامي

بيروت : ص.ب : ١١/٣٧٧١ - هاتف : ٤٥٦٢٨٠(٠٥)
عمّان : ص.ب : ١٨٢٠٦٥ - هاتف : ٤٦٥٦٦٠٥



مقدّمة

الحمد لله رب العالمين، حمداً طيباً مباركاً فيه، وأفضل الصلاة وأتم التسليم علىٰ سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

وَبَعد:

عندما يذكر الإمام أحمد بن حنبل تتوارد إلىٰ ذهن المستمع أكثر من فكرة.

فهو إمام أهل السنة والجماعة، وأحد أئمة المذاهب الفقهية التي انتشرت في طول العالم الإسلامي وعرضه.

وهو صاحب «المسند» الذي يعد أكبر مرجع في كتب السنة.

وهو الذي ثبت في محنة «خلق القرآن» فكان الصديق الثاني.

وهو.. وهو..

ولن يتبادر إلىٰ الذهن أن يكون الإمام أحمد بين الوعاظ، فهو لم يجلس في يوم من الأيام ليعظ الناس علىٰ الطريقة المتعارف عليها، وإنما هي دروس العلم والحديث والسنة والكلام علىٰ الرجال والأسانيد..

ولكن هذا لا يمنع أن تكون له الكلمة، فيها العظة، وأن يكون له التعليق علىٰ موقف، فيه العبرة، وأن يجيب علىٰ سؤال فيكون في جوابه الهداية والرشاد.

وإني حاولت تتبع هذه الكلمات علىٰ قلّتها.

علىٰ أن سيرة الإمام أحمد ذاتها، فيها من المواقف التي لا تحصىٰ، وكل منها في ثناياه موعظة وعبرة.. والموعظة العملية أبلغ من الموعظة القولية.

وقد ختمتُ هذه المواعظ بذكرٍ مختصر لأحداث المحنة، ففيها من العظات ما لا يمكن حصره.

هذا، وأرجو الله أن ينفع بهذا العمل وما سبقه،

وأن يتقبله، إنه نعم المسؤول، وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

١٥ شعبان ١٤٢٨هـ
٢٨/٨/٢٠٠٧م

كتبه
صالح أحمد الشّامي

ترجمة الإمام أحمد بن حنبل

هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، قدم به أبوه من مرو وهو حمل، فوضعته أمه في بغداد، وتوفي أبوه وهو ابن ثلاث سنين.

قال صالح ابن الإمام أحمد: سمعت أبي يقول: ولدت سنة أربع وستين ومائة، في أولها في ربيع الأول.

وقال: توفي أبي رَحِمَهُ اللهُ ليلة الجمعة لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول، فكانت سنُّه من يوم ولد إلىٰ أن توفي سبعاً وسبعين سنة.

ويُنسب الإمام أحمد عادة إلىٰ جده فيقال: أحمد بن حنبل، لأن جده كان أشهر من أبيه.

وأمه هي صفية بنت ميمونة بنت عبد الملك الشيباني، فهي شيبانية كأبيه، وكانت هي التي كفلته وأدبته فأحسنت تأديبه ـ رحمها الله ـ.

كانت لوائح النجابة تظهر عليه من الطفولة، فحفظ القرآن، ودرس الفقه واللغة، وروي عنه أنه قال: «كنت وأنا غليم أختلف إلىٰ الكتّاب ثم أختلف إلىٰ الديوان وأنا ابن أربع عشرة سنة».

وكان شغفه بالعلم وإقباله عليه يدفعه للخروج قبل طلوع الفجر، فتأخذ أمه ثيابه وتقول: حتىٰ يؤذن الفجر ويصبح الناس.

طلبه للعلم:

عندما بلغ السادسة عشر جلس إلىٰ القاضي أبي يوسف صاحب أبي حنيفة. روىٰ الحافظ الذهبي في «تاريخه» عن الخلال: أن الإمام أحمد كان قد كتبَ كُتَب الرأي وحفظها، ثم لم يلتفت إليها، وشرح الله صدره للحديث.

فلزم هشيم بن أبي بشير ابن أبي حازم الواسطي (١٠٤ ـ ١٨٣هـ) الذي انتهىٰ إليه علم الحديث في بغداد، وكان ذا سمت وهيبة.

ولزم الإمام أحمد هشيماً أربع أو خمس سنوات، وسمع منه كل ما عنده، وحفظ كل ما سمعه.

ومع هذه الملازمة، فإنه كان يتردد علىٰ بعض مجالس المحدثين الآخرين مثل: عمير بن عبد الله بن خالد، وعبد الرحمٰن بن مهدي، وأبي بكر بن عياش.

وبعد موت هشيم، أخذ الإمام أحمد يطلب الحديث من مختلف الشيوخ في بغداد، نحواً من ثلاث سنوات، وفي السنة السادسة والثمانين بعد المائة بدأ رحلاته للسماع من شيوخ الأمصار كما كانت العادة يومئذٍ.

فرحل إلىٰ البصرة خمس مرات، كان يقيم في بعضها قرابة ستة أشهر، أو أقل.

ورحل إلىٰ الحجاز. خمس مرات. لقي في بعضها الشافعي، قال الإمام أحمد: حججت خمس حجج، منها ثلاث راجلاً، وأنفقت في إحدىٰ هذه الحجج ثلاثين درهماً، وقد ضللت في بعضها عن الطريق وأنا ماشي، فجعلت أقول: «يا عباد الله، دلوني علىٰ الطريق» حتىٰ وقعت علىٰ الطريق.

ورحل إلىٰ اليمن، فسمع من عبد الرزاق بن همام، ومكث بها سنتين.

ورحل إلىٰ الكوفة.

ووعد الشافعي بالرحلة إلىٰ مصر، ولكن حالت دون ذلك حوائل.

ولم يتوقف الإمام أحمد عن طلب العلم حتىٰ عندما تقدمت به السن وصار إماماً.

وسأله أحد الناس: إلىٰ متىٰ هذا وقد صرت إماماً للمسلمين، فقال ـ كما هو مروي عنه ـ: مع المحبرة إلىٰ المقبرة.

وكان الإمام أحمد حريصاً علىٰ لقاء ابن المبارك والسماع منه، فذهب إلىٰ مجلسه سنة تسع وسبعين ومائة، أول سماعه من هشيم، فقالوا: خرج إلىٰ طرسوس، وتوفي سنة إحدىٰ وثمانين ومائة، وتأثر بسفيان الثوري وألَمَّ بحديثه.

وكان يرغب الاستماع إلىٰ مالك، ولكنه مات قبل أولىٰ رحلاته.

قال الإمام أحمد: فاتني مالك، فأخلف الله عليّ سفيان بن عيينة؛ وفاتني حماد بن زيد، فأخلف الله عليَّ إسماعيل بن علية.

جلوسه للتدريس:

عندما بلغ الإمام أحمد أربعين عاماً، جلس للدرس والفتوىٰ، بعد أن عُرِفَ فضله وظهر علمه، وقصده الناس للسؤال.

وكان مجلسه مجلس سكينة ووقار، نقل الذهبي في «تاريخه» عن المروزي صاحب أحمد: «لم أرَ الفقير في مجلس أعز منه في مجلس أبي عبد الله، كان مائلاً إليهم، مقصراً عن أهل الدنيا، وكان فيه حلم، ولم يكن بالعجول؛ بل كان كثير التواضع والوقار، إذا جلس بعد صلاة العصر، لا يتكلم حتىٰ يُسأل».

وقدّر الذين يحضرون درسه بالمسجد بعد صلاة العصر بقرابة خمسة آلاف يكتب منهم خمسمائة.

كما كان له ـ بالإضافة إلىٰ درسه العام ـ درس خاص يلتقي فيه خاصة تلاميذه.

وكان ـ رحمه الله تعالىٰ ـ في هذه الدروس يعود إلىٰ مراجعه المكتوبة، ولا يكتفي بحافظته احتراساً وأخذاً بالأحوط والأثبت، وحرصاً علىٰ الدقة.

قال ولده عبد الله: «ما رأيت أبي حدّث من حفظه من غير كتاب؛ إلا بأقل من مائة حديث».

وربما ذكر الحديث من ذاكرته، فإذا أرادوا كتابته استمهلهم حتىٰ يمليه عليهم من الكتاب، قائلاً: الكتاب أحفظ شيء.

وكان يحث أصحابه وتلاميذه علىٰ أن لا يحدثوا دون كتاب.

وكان يرفض أن تكتب فتاواه، ويكره أن ينقلها أصحابه عنه. قال أحمد بن الحسين بن حسان: قال رجل لأبي عبد الله: أريد أن أكتب هذه المسائل، فإني أخاف النسيان، فقال أحمد: لا تكتب، فإني أكره أن تكتب رأيي.

وأحسّ مرة بإنسان يكتب ومعه ألواح في كمه، فقال: لا تكتب رأياً لَعَلّي أقول الساعة بمسألة، ثم أرجع عنها غداً.

ولم يكن الإمام أحمد هو الذي يستهل الدرس، وإنما كان يردُّ علىٰ الأسئلة، فإذا لم يسأله أحد لم يتكلم.

روىٰ ابن الجوزي عن أبي حاتم الرازي، قال: أتيت أحمد بن حنبل في أول ما التقيت به في سنة ثلاث عشرة ومائتين، وإذا هو قد أخرج معه إلىٰ الصلاة «كتاب الأشربة» «وكتاب الإيمان» فصلىٰ، فلم يسأله أحد فردَّه إلىٰ بيته.

ولم يكن مجلسه مجلس علم فحسب؛ بل كان كثيرون يجلسون للتعرف علىٰ هديه وخلقه والتأدب بأدبه[١].

صفته وهيئته:

قال العباس النحوي: رأيت أحمد بن حنبل حسن الوجه، ربعة من الرجال، يخضب بالحناء خضاباً ليس بالقاني، وفي لحيته شعرات سود، ورأيت ثيابه غلاظاً إلا أنها بيض، ورأيته معتماً وعليه إزار[٢].

وقال عبد الملك الميموني: ما أعلم أني رأيت

---

(١) عن «تاريخ الإسلام» للذهبي، و«المناقب» لابن الجوزي، وترجمة الإمام أحمد في كتاب «الفتح الرباني» للبنا.

(٢) «مناقب الإمام أحمد» (ص٢٠٨).

أحداً أنظف ثوباً، ولا أشد تعاهداً لنفسه في شاربه وشعر رأسه وشعر بدنه، ولا أنقىٰ ثوباً، ولا أشده بياضاً من أحمد بن حنبل[1].

وقال العكبري: رأيت أحمد بن حنبل، وكان شيخاً مخضوباً طوالاً، أسمر شديد السمرة[2].

وقال أبو بكر المروزي: رأيت أبا عبد الله إذا كان في البيت كان عامة جلوسه متربعاً خاشعاً، فإذا كان خارجاً لم يكن يتبين منه شدة خشوع كما كان داخلاً. وكنت أدخل عليه والجزء في يده يقرأ، فإذا قعدت أطبقه ووضعه بين يديه[3].

* * *

وقال أبو داود السجستاني: لم يكن أحمد بن حنبل يخوض في شيء مما يخوض فيه الناس من أمر الدنيا، فإذا ذكر العلم تكلم[4].

---

(١) «صفة الصفوة» (٢/ ٢٢٢).
(٢) «مناقب الإمام أحمد» (ص٢٠٨).
(٣) «مناقب الإمام أحمد» (ص٢٠٩).
(٤) «مناقب الإمام أحمد» (ص٢٠٨).

وقال الحسن بن إسماعيل: سمعت أبي يقول: كان يجتمع في مجلس أحمد زهاء خمسة آلاف أو يزيدون، أقل من خمسمائة يكتبون، والباقون يتعلمون من حسن الأدب وحسن السمت(١).

قال أبو عبيد القاسم بن سلام: جالست أبا يوسف ومحمد بن الحسن، ويحيىٰ بن سعيد، وعبد الرحمٰن بن مهدي، فما هبْتُ أحداً منهم ما هبت أحمد بن حنبل(٢).

أدبه ومعيشته وزهده:

قال أبو داود السجستاني: كانت مجالسة أحمد بن حنبل مجالسة الآخرة لا يذكر فيها شيء من أمر الدنيا، ما رأيت أحمد يذكر الدنيا قط.

قال أبو الحسين بن المنادي: سمعت جدي يقول: كان أحمد من أحيا الناس وأكرمهم نفساً، وأحسنهم عشْرة وأدباً، كثير الإطراق والغض، معرضاً عن القبيح واللغو، لا يسمع منه إلا المذاكرة

---

(١) «مناقب الإمام أحمد»، (ص٢١٠).

(٢) المرجع قبله، (ص٢١٤).

بالحديث، وذكر الصالحين والزهاد، في سكون ووقار ولفظ حسن[1].

قال صالح بن أحمد: ربما رأيت أبي يأخذ الكِسَر فينفض الغبار عنها، ثم يصيّرها في قصعة، ثم يصب عليها ماء حتىٰ تبتل، ثم يأكلها بالملح، وما رأيته قط اشترىٰ رماناً ولا سفرجلاً ولا شيئاً من الفاكهة، إلا أن يكون يشتري بطيخة فيأكلها بخبز، أو عنباً أو تمراً، فأما غير ذلك فما رأيته قط اشتراه، وكان كثيراً ما يأتدم بالخل، وكان يُشترىٰ له شحم بدرهم فكان يأكل منه شهراً.

وقال النيسابوري صاحب إسحاق بن إبراهيم: قال لي الأمير: إذا جاء إفطاره أرنيه، قال: فجاؤوا برغيفين خبز وخيارة، فأريته الأمير، فقال: هذا لا يجيبنا إذا كان هذا يقنعه.

قال سليمان بن داود: إن أحمد رهن سطلاً عند فامي[2]، فأخذ منه شيئاً يتقوته، فجاء فأعطاه فكاكه،

---

(١) هذا الخبر والذي قبله من: «مناقب الإمام أحمد» (ص٢١٤، ٢١٥).

(٢) هو بائع الحبوب والخبز.

فأخرج إليه سطلين، فقال: انظر أيهما سطلك؟ فخذه. قال: لا أدري، أنت في حل منه وما أعطيتك، ولم يأخذه، قال الفامي: والله إنه لسطله، وإنما أردت أن أمتحنه فيه.

وقال عبد الله بن أحمد: كان أبي أصبر الناس علىٰ الوحدة، لم يره أحد إلا في مسجد، أو حضور جنازة، أو عيادة مريض، وكان يكره المشي في الأسواق[1].

قال إسحاق بن راهويه: لما خرج أحمد بن حنبل إلىٰ عبد الرزاق، انقطعت به النفقة فأكرىٰ نفسه من بعض الجمالين إلىٰ أن وافىٰ صنعاء، وكان أصحابه عرضوا عليه المواساة، فلم يقبل من أحد شيئاً[2].

قال إبراهيم الحربي: كان أحمد يأتي العرس والإملاك والختان يجيب ويأكل.

---

(١) هذا الخبر وما قبله من: «صفة الصفوة» (٢/ ٢٢٦ ـ ٢٢٨).

(٢) «مناقب الإمام أحمد» (ص٢٢٦).

قال فتح بن نوح: سمعت أحمد بن حنبل يقول: أشتهي ما لا يكون، أشتهي مكاناً لا يكون فيه أحد من الناس[1].

قال صالح بن أحمد: كان أبي إذا دعا له رجل يقول: الأعمال بخواتيمها، وكنت أسمعه كثيراً يقول: اللهم سلم سلم[2].

مصنفاته:

قال ابن الجوزي: كان الإمام أحمد ﵁ لا يرىٰ وضع الكتب، وينهىٰ أن يكتب عنه كلامه ومسائله، ولو رأىٰ ذلك لكانت له تصانيف كثيرة، ولنقلت عنه كتب.

فكانت تصانيفه المنقولات:

فصنف «المسند» وهو ثلاثون ألف حديث، وكان يقول لابنه عبد الله: احتفظ بهذا «المسند»، فإنه سيكون للناس إماماً.

---

(١) «مناقب الإمام أحمد» (ص٢٧٨).

(٢) «مناقب الإمام أحمد» (ص٢٨٣).

و«التفسير»، وهو مائة ألف وعشرون ألفاً.

و«الناسخ والمنسوخ»، و«التاريخ»، و«حديث شعبة»، و«المقدم والمؤخر في القرآن»، و«جوابات القرآن»، و«المناسك» الكبير والصغير، وأشياء أخر.

وكان ينهىٰ الناس عن كتابة كلامه، فنظر الله تعالىٰ إلىٰ حسن قصده، فنقلت ألفاظه وحفظت، فقلَّ أن تقع مسألة إلا وله فيها نص من الفروع والأصول وربما عدمت في تلك المسألة نصوص الفقهاء الذين صنّفوا وجمعوا[1].

عمله بالسنة:

كان الإمام أحمد ـ رحمه الله تعالىٰ ـ يبذل جهده في التزام السنة النبوية في كل شؤونه؛ بل ربما قام بالأمر بغية الاقتداء برسول الله ﷺ:

قال المروزي: قال لي أحمد بن حنبل: ما كتبت حديثاً عن النبي ﷺ؛ إلا وقد عملت به، حتىٰ

---

(١) «مناقب الإمام أحمد» (ص١٩١).

مر بي في الحديث أن النبي ﷺ احتجم وأعطىٰ أبا طيبة ديناراً، فأعطيت الحجام ديناراً حين احتجمت[١].

وقال أبو حامد البلخي: سمعت أحمد بن حنبل يقول: ما كتبت حديثاً؛ إلا وقد عملت به ولو مرة، لئلا يكون عليَّ حجة، حتىٰ صلاة الركعتين بين الأذان والإقامة في المغرب[٢].

وقال إبراهيم بن هانئ: اختفىٰ أحمد بن حنبل عندي ثلاثة أيام ثم قال: اطلب لي موضعاً حتىٰ أتحول إليه، قلت: لا آمن عليك يا أبا عبد الله، قال: إذا فعلت أفدتك، فطلبت له موضعاً. فلما خرج قال لي: اختفىٰ رسول الله ﷺ في الغار ثلاثة أيام، ثم تحوّل، وليس ينبغي أن نتبع رسول الله ﷺ في الرخاء ونتركه في الشدّة[٣].

وقال أبو يعقوب الأعمش: سئل أحمد بن حنبل

---

(١) «مناقب الإمام أحمد» (ص١٧٦).
(٢) «أدب الإملاء والاستملاء» (١/ ١٠٩).
(٣) «تهذيب حلية الأولياء» (٣/ ١٤٤)، نشره المكتب الإسلامي.

عن الوساوس والخطرات؛ فقال: ما تكلم فيها الصحابة ولا التابعون[1].

هذه أمثلة قليلة من فيض لا ينتهي من التزام الإمام أحمد بالسنة وحرصه علىٰ اتباعها في صغير الأمور وكبيرها.

مرضه ووفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال المروزي: مرض أبو عبد الله ليلة الأربعاء لليلتين خلتا من ربيع الأول، سنة إحدىٰ وأربعين ومائتين، ومرض تسعة أيام، فلما اشتدت علته وتسامع الناس أقبلوا لعيادته، فكثروا ولزموا الباب الليل والنهار.

وأذن للناس فدخلوا أفواجاً أفواجاً يسلمون عليه، فيرد عليهم بيده.

فلما كان قبل وفاته بيوم أو يومين، قال: ادعوا الصبيان، بلسان ثقيل، يعني الصغار، فجعلوا ينضمون إليه، وجعل يشمهم ويمسح علىٰ رؤوسهم بيده، وعينه تدمع.

---

(١) «مناقب الإمام أحمد» (ص١٧٦).

فلما كان يوم الجمعة، اجتمع الناس حتىٰ ملؤوا السكك والشوارع، فلما كان صدر النهار قُبض رَحِمَهُ اللَّهُ.

فصاح الناس، وعلت الأصوات بالبكاء حتىٰ كأن الدنيا قد ارتجت(١).

قال موسىٰ بن هارون: يقال: إن أحمد بن حنبل لما مات مسحت الأمكنة المبسوطة التي وقف الناس عليها للصلاة، فحزر مقادير الناس بالمساحة علىٰ التقدير ستمائة ألف وأكثر، سوىٰ ما كان في الأطراف والسطوح والمواضع المتفرقة.. أكثر من ألف ألف(٢).

رحم الله الإمام أحمد رحمةً واسعةً وأسكنه فسيح جناته.

---

(١) «مناقب الإمام أحمد» (ص٤٠٤ ـ ٤٠٦) باختصار.

(٢) «صفة الصفوة» (٢/ ٢٣٣).

شهادات

كثيرة هي الشهادات التي تعبر عن مكانة أحمد في رأي قائليها، وهم من هم، إنهم علماء الجيل الذي عاش فيه أحمد وفقهاؤه. ونذكر طرفاً من هذه الشهادات وهي كثير لا يتسع المقام لذكرها.

قال الخلال: سمعت أبا القاسم بن الجبلي ـ وكفاك به ـ يقول: أكثر الناس يظنون أن أحمد إذا سئل، كأن علم الدنيا بين عينيه.

وقال إبراهيم الحربي: رأيت أحمد، كأن الله جمع له علم الأولين والآخرين.

وقال أحمد الرازي: ما رأيت أسود الرأس أحفظ لحديث رسول الله ﷺ، ولا أعلم بفقهه ومعانيه من أحمد بن حنبل.

وقال عبد الرزاق: ما رأيت أفقه من أحمد بن حنبل ولا أورع.

وقال وكيع: ما قدم الكوفة مثل ذلك الفتىٰ، يعني أحمد.

وقال قتيبة: أحمد بن حنبل إمام الدنيا.

وقال المزني، قال لي الشافعي: رأيت ببغداد شاباً إذا قال: «حدثنا» قال الناس: صدق، قلت: من هو؟ قال: أحمد بن حنبل.

وقال الشافعي: خرجت من بغداد فما خلفت بها رجلاً أفضل ولا أعلم ولا أفقه ولا أتقىٰ من أحمد بن حنبل.

وقال علي المديني: إن الله أعزَّ هذا الدين بأبي بكر الصديق يوم الرِّدّة، وبأحمد بن حنبل يوم المحنة.

وقال أبو عبيد: انتهىٰ العلم إلىٰ أربعة: أحمد بن حنبل وهو أفقههم.

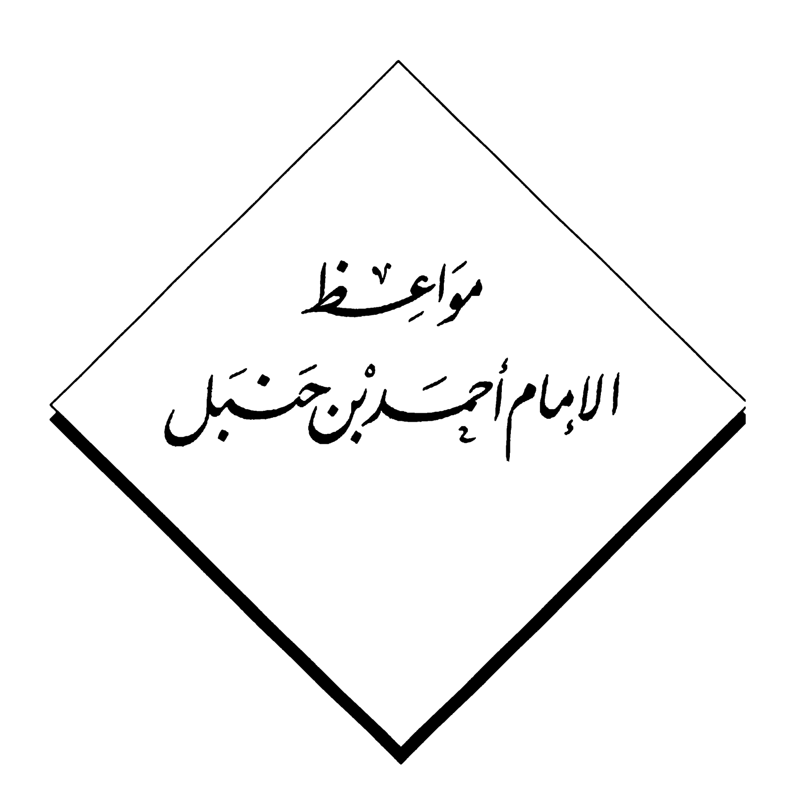
وقال ابن معين: ما رأيت مثل أحمد.

وسئل بشر بن الحارث عن أحمد فقال: أنا أُسأل عن أحمد؟ إن أحمد أُدخل الكير، فخرج ذهباً أحمر.

وقال أبو زرعة: ما رأيت مثل أحمد بن حنبل في فنون العلم، وما قام أحد مثل ما قام أحمد به.

وقال أبو عمير الرملي ـ وذكر أحمد ـ فقال: رحمه الله، عن الدنيا ما كان أصبره، وبالماضين ما كان أشبهه، وبالصالحين ما كان ألحقه، عرضت له الدنيا فأباها، والبدع فنفاها[١].

(١) «مناقب الإمام أحمد» (ص١٠٦ ـ ١٣٨).


مواعظ
الإمام أحمد بن حنبل

السُّنَّة

قال الإمام أحمد:

أصول السنة عندنا: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ، والاقتداء بهم، وترك البدع، وكل بدعة فهي ضلالة، وترك المراء والجدال والخصومات في الدين.

فالسنة عندنا: آثار رسول الله ﷺ.

والسنة تفسير القرآن، وهي دلايل القرآن.

وليس في السنة قياس، ولا تضرب لها الأمثال، ولا تدرك بالعقول والأهواء، إنما هو الاتباع وترك الهوى[1].

صاحب الحديث

قال أبو القاسم بن منيع: أردتُ الخروجَ إلىٰ سويد بن سعيد، فقلت لأحمد بن حنبل يكتب إليه،

---

(١) «مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي، (ص١٧١).

فكتب: وهذا رجل يكتب الحديث.

فقلت: يا أبا عبد الله، خدمتي لك ولزومي؟! لو كتبتَ: هذا رجل من أصحاب الحديث:

فقال: صاحب الحديث عندنا من يستعمل الحديث[1].

الحق والباطل

قيل للإمام أحمد ـ أيام المحنة ـ: يا أبا عبد الله، ألا ترىٰ الحقَ كيف ظهر عليه الباطلُ؟

فقال: كلا، إن ظهور الباطل علىٰ الحق: أن تنتقل القلوب من الهدىٰ إلىٰ الضلالة، وقلوبنا بعد لازمة للحق[2].

---

(١) «مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي، (ص٢٠٨).
والمعنىٰ أنه لا يقال: صاحب حديث، إلا إذا كان يعمل بالحديث، فمجرد كتابة الحديث لا تعطيه هذا الوصف.
وهذا من دقة الإمام أحمد في تحديد معنىٰ المصطلحات، والصدق في بيان درجة الرجال ومكانتهم، فخدمة الرجل للإمام أحمد لم تشفع له في أن يكسب وصفاً ليس أهلاً له.

(٢) «مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي (٣١١).

جهل لا يضر

قال المروزي: سئل الإمام أحمد مرة عن يأجوج ومأجوج، أمسلمون هم؟

فقال للسائل: أحكمت العلم حتىٰ تسأل عن هذا؟[1]

أفضل الأعمال

قال مهنا: قلت لأحمد: حدثنا ما أفضل الأعمال؟

قال: طلب العلم.

قلت: لمن؟

قال: لمن صحَّت نيته.

قلت: وأي شيء يصحح النية؟

قال: ينوي أن يتواضع فيه، وينفي الجهل عنه[2].

---

(١) «الآداب الشرعية» (٢/ ٧٢).

(٢) «الآداب الشرعية» (٢/ ٣٨).

كفر صريح

قال أبو طالب: أُخبرت عن الكرابيسي أنه ذكر قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ فقال: لو كان أكمل لنا ديننا، ما كان هذا الاختلاف.

فقال الإمام أحمد: هذا الكفر صراحاً[1].

استشراف النفس

اشترىٰ الإمام أحمد دقيقاً، فوافىٰ أيوب الحمال، فحمله معه إلىٰ بيته، فوجد فيه خبزاً، فرآه أيوب، فقال أحمد لابنه صالح: أعطه رغيفين، فردهما وذهب.

فقال أحمد لابنه: الحقه بهما، ففعل، فأخذهما.

فعجب صالح! فقال أحمد: لا عجب، استشرفت نفسه للخبز حين رآه فرده، فلما ذهب أيس، فأعطيه فقبله[2].

---

(١) «المقصد الأرشد» (١/ ٩٦).

(٢) «التيسير بشرح الجامع الصغير» (١/ ٣٥٣). جاء في الحديث المتفق عليه: (إذا جاء من هذا المال شيء وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه وما لا، فلا تتبعه نفسك) =

ورع مظلم

كان الإمام أحمد يخرج محبرته يستمد منها، واستأذنه رجل أن يكتب من محبرته، فقال له: اكتب فهذا ورع مظلم. واستأذن رجل آخر في ذلك، فتبسم وقال: لم يبلغ ورعي ولا ورعك هذا وهذا[1].

العدالة

قال الإمام أحمد:

ينبغي للعدل أن يكون فيه ست خصال: فقيهاً، عالماً، زاهداً، ورعاً، عفيفاً، بصيراً بما يأتي، بصيراً بما يذر[2].

اتخاذ الأسباب

قال أبو القاسم ابن الختلي: سألت أحمد بن حنبل وقلت: ما تقول في رجل جلس في بيته أو في مسجده وقال: لا أعمل شيئاً حتىٰ يأتيني رزقي؟

= [خ ١٤٧٣، م ١٠٤٥] وليس العجب في هذه المسألة من فقه الإمام أحمد، ولكن العجب من فقه أيوب الحمال.

(١) «جامع العلوم والحكم» (١/ ١١١).

(٢) «المقصد الأرشد» (٣/ ١٦٤).

فقال أحمد: هذا رجل جهل العلم، أما سمعت قول رسول الله ﷺ: (جعل رزقي تحت ظل رمحي)، والحديث الآخر في ذكر الطير تغدو خماصاً، فذكر أنها تغدو في طلب الرزق، وقال تعالىٰ: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠][١].

الليث بن سعد

قال الإمام أحمد:

الليث كثير العلم، صحيح الحديث، ليس في هؤلاء المصريين أثبت منه، ما أصح حديثه، رأيت من رأيت فلم أر مثله، كان فقيه البدن، عربي اللسان، يحسن القرآن والنحو، ويحفظ الحديث والشعر، حسن المذاكرة.. وعدَّ خصالاً جميلة عنه[٢].

ذكر الموت

قال الإمام أحمد:

إذا ذكرتُ الموت هان علي كل شيء من أمر

---

(١) «تلبيس إبليس» (١/ ٣٤٧).

(٢) «تهذيب الأسماء» (٢/ ٣٨٢).

الدنيا، وإنما هو طعام دون طعام، ولباس دون لباس، وإنها أيام قلائل، ما أعدل بالفقر شيئاً.

قال المروزي: كان الإمام أحمد إذا ذكر الموت خنقته العبرة، وكان يقول: الخوف يمنعني أكل الطعام والشراب[1].

العلم مقدم علىٰ النوافل

قال عبد الله ابن الإمام أحمد: لما قدم أبو زرعة نزل عند أبي، فكان كثير المذاكرة له. فسمعت أبي يوماً يقول: ما صليت غير الفرائض، استأثرت بمذاكرة أبي زرعة علىٰ نوافلي[2].

كرم القلوب

قال الإمام أحمد:

إن لكل شيء كرماً، وكرم القلب الرضا عن الله عزّ وجلّ[3].

---

(١) «تاريخ الإسلام» (١٨/ ٨١) للذهبي.

(٢) «الآداب الشرعية» (٢/ ١٦٥).

(٣) «مناقب الإمام أحمد» (ص٢٠١).

طلب الخشونة

قال عبد الله:

كنت جالساً عند أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يوماً، فنظر إلىٰ رجليَّ وهما لينتان، ليس فيهما شقاق، فقال لي: ما هذه الرجلان، لم لا تمشي حافياً حتىٰ تصير رجلاك خشنتين[1].

الدنيا والسلطان

قال الإمام أحمد:

الدنيا داء، والسلطان داء، والعالم طبيب. فإذا رأيت الطبيب يجر الداء إلىٰ نفسه فاحذره[2].

الزهد

قال الإمام أحمد:

الزهد في الدنيا: قصر الأمل، والإياس مما في أيدي الناس[3].

---

(١) «تاريخ مدينة دمشق» (٥/ ٢٩٨).

(٢) «مناقب الإمام أحمد» (ص٢٠٧).

(٣) «طبقات الحنابلة» (١/ ٣٩).

معروف الكرخي

ذكر في مجلس أحمد بن حنبل أمر معروف الكرخي، فقال بعض من حضر: هو قليل العلم.

فقال أحمد: أمسك عافاك الله، وهل يراد من العلم إلا ما وصل إليه معروف؟![1]

التغافل

قال الإمام أحمد ـ وقال له رجل: العافية عشرة أجزاء تسعة منها في التغافل ـ فقال: العافية عشرة أجزاء، كلها في التغافل[2].

طعم الراحة

قال محمد بن حسنويه: حضرت أبا عبد الله أحمد بن حنبل، وسأله رجل فقال: متىٰ يجد العبد طعم الراحة؟

فقال له: عند أول قدم يضعها في الجنة[3].

---

(١) «مختصر المؤمل» (١/ ٧٤).

(٢) «الفروع» (٥/ ٢٦١).

(٣) «المقصد الأرشد» (٢/ ٣٩٨).

العباد يوم القيامة

قال الإمام أحمد:

إن الله يبعث العباد يوم القيامة علىٰ ثلاث خصال:

ـ محسن: ما عليه من سبيل، لقوله تعالىٰ: ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍۚ﴾ [التوبة: ٩١].

ـ وكافر: في النار، لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ﴾ الآية [فاطر: ٣٦].

ـ وأصحاب الذنوب والخطايا: فأمرهم إلىٰ الله، إن شاء عذب، وإن شاء غفر، لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾[1] [النساء: ٤٨ و١١٦].

أخذ العلم علىٰ وجهه

قال قتيبة بن سعيد:

قدمتُ بغداد، وما كانت لي همّة إلا أن ألقىٰ أحمد بن حنبل، فإذا هو قد جاءني مع يحيىٰ بن

---

(١) «المقصد الأرشد» (١/ ١٨٨).

معين، فتذاكرنا، فقام أحمد بن حنبل وجلس بين يدي وقال: أملِ عليّ هذا، ثم تذاكرنا، فقام أيضاً وجلس بين يدي، فقلت: يا أبا عبد الله، اجلس مكانك.

فقال: لا تشتغل بي، إنما أريد أن آخذ العلم علىٰ وجهه[1].

ضبط الحديث النبوي

قال الإمام أحمد:

نحن كتبنا الحديث من ست وجوه وسبع وجوه لم نضبطه، كيف يضبطه من كتبه من وجه واحد؟![2]

لقمة في فم أخيه

قال إسماعيل بن العلاء: دعاني الكلوذاني رزق الله بن موسىٰ، فقدَّم إلينا طعاماً كثيراً، وكان في القوم: أحمد بن حنبل، ويحيىٰ بن معين، وأبو خيثمة وجماعة.

---

(١) «مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي، (ص٥٧).

(٢) «مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي، (ص٥٨).

فقدم لوزينج[1] أنفق عليها ثمانين درهماً، فقال أبو خيثمة: هذا إسراف!

فقال أحمد: لا، لو أن الدنيا جمعت حتىٰ تكون في مقدار لقمة، ثم أخذها امرؤ مسلم، فوضعها في فم أخيه المسلم لما كان مسرفاً.

فقال يحيىٰ: صدقت يا أبا عبد الله[2].

الخير

قال الإمام أحمد:

الخير فيمن لا يرىٰ لنفسه خيراً[3].

الفائز

قال الإمام أحمد:

يا بني! الفائز من فاز غداً ولم يكن لأحد عنده تبعة[4].

---

(١) نوع من الحلوىٰ شبه القطائف، تؤدم بدهن اللوز ـ فارسية.

(٢) «طبقات الحنابلة» (١/ ١٠٦).

(٣) «ذيل طبقات الحنابلة» (١/ ٣٠٥).

(٤) «تاريخ مدينة دمشق» (٥/ ٣٠٨).

حجةُ النَّفل

سئل الإمام أحمد: عن الرجل يحج نفلاً أم يصل قرابته المحتاجين؟

فقال: يضعها في أكباد جائعة أحب إلي[1].

مهمة العلماء الربانيين

قال الإمام أحمد:

الحمد لله الذي جعل في كل زمان بقايا من أهل العلم:

يدعون من ضلّ إلىٰ الهدىٰ، وينهون عن الردىٰ.

يحيون بكتاب الله الموتىٰ، وبسنة النبي أهل الجهالة والردىٰ.

فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضالٍّ تائه قد هَدَوه.

فما أحسن أثرهم علىٰ الناس، ينفون عن دين الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين الذين اعتقدوا لوثة البدع، وأطلقوا أعنّة الفتنة، مختلفين في الكتاب،

---

(١) «الفروع» (٢/ ٤٩٧).

يقولون على الله وفي الله ـ تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً ـ وفي كتابه بغير علم[1].

حملة القرآن

قال الإمام أحمد:

عزيز عليَّ أن تذيب الدنيا أكباد رجال وَعَتْ صدورهم القرآن[2].

طريقة أخذ العلم

قال خلف: جاءني أحمد بن حنبل يسمع حديث أبي عوانة، فاجتهدت أن أرفعه فأبى، وقال: لا أجلس إلا بين يديك، أُمرنا أن نتواضع لمن نتعلم منه[3].

---

(١) «مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي، (ص١٦٧).

(٢) المرجع قبله، (ص٢٠٠).

والمعنى: أنه لا ينبغي للعالم الذي وعى القرآن الكريم، ولا للحافظ الذي حفظ كتاب الله تعالى، أن يكون شديد الانكباب على الدنيا، لاهثاً وراءها، شديد التأسف على فواتها إذا لم يدركها.

(٣) «مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي، (ص٥٨).

زاهد يملك ألف دينار

سئل الإمام أحمد: عن رجل معه ألف دينار، أيكون زاهداً؟

قال: نعم بشرط أن لا يفرح إذا زادت ولا يحزن إذا نقصت[١].

سرج الإسلام

قال الفضل بن أحمد الزبيدي: سمعت أحمد بن حنبل يقول ـ وقد أقبل أصحاب الحديث بأيديهم المحابر، فأومأ إليها وقال ـ: هذه سِرَجُ الإسلام[٢].

دعاء

قال عبد الله ابن الإمام أحمد: سمعت أبي يقول في سجوده:

«اللهم، كما صنت وجهي عن السجود لغيرك،

---

(١) «فيض القدير» (٤/ ٧٣).

(٢) «الآداب الشرعية» (٢/ ٥٨).

فصن وجهي عن المسألة لغيرك»[1].

أدب الرسائل

كان أحمد بن حنبل يستحب إذا كتب الصغير إلىٰ الكبير، أن يقدم اسم المكتوب إليه، وأما هو فكان يبتدئ باسم من يكاتبه كبيراً أو صغيراً تواضعاً[2].

دُم علىٰ ما يحب

قال الإمام أحمد:

إن أحببت أن يدوم الله لك علىٰ ما تحب، فدُمْ له علىٰ ما يحب[3].

كرامة الإنسان

سئل الإمام أحمد: عن رجل نذر أن يطوف بالبيت علىٰ أربع؟

---

(١) «مطالب أولي النهىٰ» (١/ ٤٦٣).

(٢) «فتح المغيث» (٢/ ١٣٦).

(٣) «الآداب الشرعية» (٢/ ٣١).

فقال: يطوف طوافَيْن، ولا يطوف على أربع[1].

المعاصي تنقص الإيمان

قال الإمام أحمد:

الإيمان قول وعمل، ويزيد وينقص، والبِرُّ كله من الإيمان، والمعاصي تنقص الإيمان[2].

تكريم الصحابة

قال الإمام أحمد:

إذا رأيت رجلاً يذكر أحداً من أصحاب

---

(١) «مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي، (ص٦٥).

وقال ابن الجوزي تعليقاً على ذلك: فانظر إلى هذا الفقه، كأنه نظر إلى الانكباب فرآه مثلةً وخروجاً عن صورة الإنسان إلى التشبه بالبهيم، فصانه وصان البيت والمسجد عن ذلك، ولم يبطل حكم لفظه بالمشي على اليدين فأبدلها بالرجلين التي هي آلة المشي.

أقول: وهكذا لم ينس الإمام القواعد العامة والمقاصد الشرعية، وهو يفتي في مسألة فرعية.

(٢) «مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي، (ص١٥٣).

رسول الله ﷺ بسوء، فاتهمه علىٰ الإسلام[1].

الإسلام والسنة

قال الحسن بن أيوب البغدادي: قيل لأبي عبد الله أحمد بن حنبل: أحياك الله علىٰ الإسلام.

فقال: والسنة[2].

كفارة يمين

قال عبد الله ابن الإمام أحمد:

لما أن قرب موت الإمام أحمد. أخرج من جيبه

---

(١) «مناقب الإمام أحمد» (ص١٦٠).

(٢) المصدر قبله، (ص١٧٧).

وقول الإمام «والسنة» فهذا من فقهه رحمه الله. فقد وجد في بعض فرق المسلمين من يسب الصحابة رضي الله عنهم، وفي الصحيح قوله ﷺ: (لا تسبوا أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مدَّ أحدهم ولا نصيفه) فمن فعل ذلك فهو مسلم وليس علىٰ السنة. وهو متهم في إسلامه. فلولا جيل الصحابة وجهادهم فإن الإسلام لم يكن ليصل إلينا.

صريرة فيها مقدار درهمين من فضة فقال: كفروا عني كفارة يمين واحدة، فإني أظن أني حنثت في دهري مرة في يمين واحدة[1].

زكاة العلم

قال عبد الله بن جعفر: سمعت أحمد بن حنبل يقول، وسئل عن الرجل يكتب الحديث فيكثر، قال: ينبغي أن يكثر العمل به، علىٰ قدر زيادته في الطلب، ثم قال: سبيل العلم مثل سبيل المال، إن المال إذا زاد، زادت زكاته[2].

فاقعد مع الناس

قال هارون بن عبد الله الحمال: جاءني أحمد بن حنبل بالليل، فدق الباب عليَّ، فقلت من هذا؟ فقال: أنا أحمد، فبادرت إليه فمساني ومسيته.

قلت: حاجة يا أبا عبد الله؟

قال: نعم، شغلتَ اليوم قلبي.

---

(١) «تاريخ مدينة دمشق» (٥/ ٣٢٥).

(٢) «الآداب الشرعية» (٢/ ١٦٧).

قلت: بماذا يا أبا عبد الله؟

قال: جزت عليك وأنت قاعد تحدث الناس في الفيء، والناس في الشمس، بأيديهم الأقلام والدفاتر، لا تفعل مرة أخرىٰ، إذا قعدت فاقعد مع الناس[1].

الغفلة

قال العباس بن حمزة: سمعت أحمد بن حنبل يقول:

سبحانك!! ما أغفل هذا الخلق عما أمامهم، الخائف منهم مقصر، والراجي منهم متوانٍ[2].

من يتكلم في الورع؟

سئل الإمام أحمد عن مسألة من الورع فقال: أنا لا ينبغي لي أن أتكلم فيها، أن آكل من غلة بغداد، لو كان بِشْرٌ كان ينبغي أن يتكلم[3].

---

(١) «مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي، (ص٢٢٠).

(٢) «تاريخ مدينة دمشق» (٥/ ٣٢٤).

(٣) «الاستخراج لأحكام الخراج» (١/ ١١١). وكان بشر بن =

الحاجة إلىٰ العلم

قال الإمام أحمد:

الناس إلىٰ العلم أحوج منهم إلىٰ الطعام والشراب، لأن الرجل يحتاج إلىٰ الطعام والشراب في اليوم مرة أو مرتين، وحاجته إلىٰ العلم بعدد أنفاسه.

قال: وروينا عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال: طلب العلم أفضل من صلاة النافلة[1]

التوكل

سئل الإمام أحمد عن التوكل فقال: قطعُ الاستشراف بالإياس من الخلق.

قيل له: فما الحجة فيه؟

قال: قول إبراهيم عليه السلام لما وضع في المنجنيق

= الحارث (الحافي) لا يأكل من غلة بغداد وينكر علىٰ من يأكل، قال الإمام أحمد: إنما قوي بشر علىٰ ذلك لأنه كان وحده ولم يكن له عيال، والسبب في هذه القضية أن عمر رضي الله عنه أوقف سواد العراق علىٰ المسلمين، وتحت عامل الضرورة يجوز للمرء قوته وقوت عياله.

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٤٧٠).

ثم طرح في النار، اعترض له جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال: هل من حاجة؟ فقال: أما إليك فلا، فقال: فسَلْ مَنْ لك إليه الحاجة، فقال: أحب الأمرين إليَّ أحبهما إليه[1].

مراتب الزهد

قال الإمام أحمد:

الزهد علىٰ ثلاثة أوجه:

الأول: ترك الحرام، وهو زهد العوام.

والثاني: ترك الفضول من الحلال، وهو زهد الخواص.

والثالث: ترك ما يشغل عن الله، وهو زهد العارفين[2].

---

(١) «تاريخ مدينة دمشق» (٣٠٨/٥).

(٢) «مدارج السالكين» (١٢/٢). وقال الإمام ابن القيم تعليقاً علىٰ هذا القول: وهذا الكلام من الإمام أحمد يأتي علىٰ جميع ما تقدم من كلام المشايخ، مع زيادة تفصيله وتبيين درجاته، وهو من أجمع الكلام. وهو يدل علىٰ أنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من هذا العلم بالمحل الأعلىٰ، وقد شهد الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ بإمامته في ثمانية أشياء: أحدها الزهد.

كمال الطعام

قال الإمام أحمد:

إذا جمع الطعام أربعاً فقد كمل: إذا ذكر الله في أوله، وحمدَه في آخره، وكثرةُ الأيدي عليه، وكان من حل[1].

النية

قال الفضل بن زياد: سألت أبا عبد الله ـ يعني: أحمد ـ عن النية في العمل، قلت: كيف النية؟ قال: يعالج نفسه إذا أراد عملاً لا يريد به الناس.

وحدَّث يزيد بن هارون بحديث عمر (الأعمال بالنيات) وأحمد جالس، فقال أحمد ليزيد: يا أبا خالد، هذا الخناق[2].

كيف أصبحت؟

قال أبو بكر المروزي: دخلت علىٰ أحمد يوماً، فقلت: كيف أصبحت؟

---

(١) «الشمائل الشريفة» للسيوطي، (١/ ٣١٦).

(٢) «جامع العلوم والحكم» (١/ ١٠). ويقصد بـ«الخناق»: الأمر الشديد.

فقال:

كيف أصبح من ربه يطالبه بأداء الفرائض.

ونبيُّه يطالبه بأداء السنة.

والملكان يطالبانه بتصحيح العمل.

ونفسه تطالبه بهواها.

وإبليس يطالبه بالفحشاء.

وملك الموت يطالبه بقبض روحه.

وعياله يطالبونه بالنفقة[1].

دعاء

قال عبد الرحمٰن بن زاذان: صلينا وأبو عبد الله حاضر فسمعته يقول:

اللهم لا تشغل قلوبنا بما تكفلت لنا به.

ولا تجعلنا في رزقك خولاً[2] لغيرك.

ولا تمنعنا خير ما عندك، بشرٍّ ما عندنا.

ولا ترانا حيث نهيتنا، ولا تفقدنا حيث أمرتنا.

---

(١) «مناقب الإمام أحمد» (ص٢٨٤).

(٢) الخول: الخدم.

أعزَّنا ولا تذلنا، أعزنا بالطاعة، ولا تذلنا بالمعاصي[1].

لا تقليد في الاعتقاد

قال الإمام أحمد:

من ضيق علم الرجل، أن يقلد في اعتقاده رجلاً[2].

خمول الذكر

قال إسحاق عم أحمد: دخلت علىٰ أحمد، ويده تحت خده، فقلت له: يا ابن أخي، أي شيء هذا الحزن؟

فرفع رأسه وقال: طوبىٰ لمن أخمل الله ذكره[3].

الرحلة في طلب العلم

قال عبد الرحمٰن بن فهم: سمعت أحمد بن حنبل يقول:

---

(١) «تهذيب الكمال» (١/ ٤٦٤).
(٢) «تلبيس إبليس» (١/ ١٠١).
(٣) «طبقات الحنابلة» (١/ ١٢).

بمصر كتاب «التأويل» عن معاوية بن صالح، لو جاء رجل إلىٰ مصر فكتبه ثم انصرف به، ما كانت رحلته عندي ذهبت باطلاً[1].

سل عما ابتليت به

قال أحمد بن أصرم: سئل أحمد عن مسألة في اللعان؟

فقال: سَلْ ـ رحمك الله ـ عما ابتليت به[2].

الفتوة

قال الإمام أحمد:

الفتوة: ترك ما تهوىٰ لما تخشىٰ[3].

هيئة الصلاة

قال أحمد الرقي: سئل أبو عبد الله، وأنا حاضر: ما معنىٰ وضع اليمين علىٰ الشمال في الصلاة؟

---

(١) «الناسخ والمنسوخ» للنحاس، (١/ ٧٥).

(٢) «الآداب الشرعية» (٢/ ٧٢).

(٣) «عدة الصابرين» (١/ ٢٧).

فقال: ذلٌ بين يدي الله عزّ وجلّ[1].

الثغور

قال الإمام أحمد:

لولا تعلق هؤلاء الصبيان بنا، كان الخروج من هذا البلد آثر في نفسي.

قيل: وأين تختار السكنىٰ؟

قال: بالثغور[2].

نقدُ رواة الحديث

قال محمد بن بُنْدار الجرجاني لأحمد بن حنبل: إنه ليشتد عليَّ أن أقول: فلان ضعيف، وفلان كذاب.

فقال: أحمد: إذا سكتَّ أنتَ، وسكتُ أنا، فمتىٰ يَعرف الجاهلُ الصحيحَ من السقيم؟[3]

---

(١) «طبقات الحنابلة» (١/ ٨٤).

(٢) «إحياء علوم الدين» (٤/ ٣٥٥).

(٣) «الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة» ص٨٠، تحقيق محمد لطفي الصباغ، نشر المكتب الإسلامي.

من أجره على الله

قال عبد الله بن أحمد: قلت لأبي يوماً: إن فضلاً الأنماطي جاء إليه رجل فقال: اجعلني في حلٍّ، قال: لا جعلت أحداً في حلٍّ أبداً.

قال: فتبسم أحمد.

فلما مضت أيام قال:

يا بني مررت بهذه الآية: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠] فنظرت في تفسيرها فإذا هو: إذا كان يوم القيامة، قام منادٍ فنادى: لا يقوم إلا من كان أجره على الله، فلا يقوم إلا من عفا.

فجعلت الميت[١] في حلٍّ من ضربه إياي.

ثم جعل يقول: وما على رجل ألا يعذب الله أحداً بسببه[٢].

العمل لله؟

سأل رجل الإمام أحمد فقال: طلبت العلم لله؟

(١) هو من كان يضربه أثناء المحنة.

(٢) «تهذيب الكمال» (١/ ٤٦٣).

فقال: هذا شرط شديد، ولكن حبب إلي شيء فجمعته[1].

الكلام في الورع

قال أبو بكر المروزي: سمعت أحمد بن حنبل وذكر أخلاق الورعين.

فقال: أسأل الله ألا يمقتنا، أين نحن من هؤلاء[2]؟

الإمام الشافعي

قال محمد بن ماجه القزويني: جاء يحيىٰ بن معين يوماً إلىٰ أحمد بن حنبل، فبينا هو عنده إذ مرّ الشافعي علىٰ بغلته.

فوثب أحمد، فسلم عليه وتبعه، فأبطأ ويحيىٰ جالس. فلما جاء قال يحيىٰ: يا أبا عبد الله، لَمَ هذا؟

فقال أحمد: دعْ هذا عنك، إن أردت الفقه؛ فالزم ذنب البغلة[3].

* * *

(١) «البداية والنهاية» (١٠/ ٣٣٠).
(٢) «مناقب الإمام أحمد» (ص٢٧٧).
(٣) «حلية الأولياء» (٩/ ٩٩).

وقال أحمد: ما عرفتُ ناسخ الحديث ومنسوخه حتىٰ جالست الشافعي[1].

عندما يتقدم الطمع

قال الإمام أحمد:

علىٰ العبد أن يقبل الرزق بعد اليأس، ولا يقبله إذا تقدمه طمع[2].

ألزم التقوىٰ قلبك

قال علي بن المديني: قال لي أحمد بن حنبل: إني لأحب أن أصحبك إلىٰ مكة، وما يمنعني من ذاك إلا أني أخاف أن أملَّك أو تملَّني.

قال: فلما ودعته قلت له: يا أبا عبد الله، توصيني بشيء؟

---

(١) «تاريخ ابن الوردي» (١/ ٢٠٦).

(٢) «ذيل طبقات الحنابلة» (١/ ٣٠٥). هذا بشأن ما يقدم للإنسان من هدايا أو منح، فينبغي إذا قدم إليه شيء كانت نفسه تتطلع إليه، ألا يقبله، أما إذا كان لم تتطلع نفسه إليه، أو لم يخطر بفكره فلا مانع، كما في قوله ﷺ لعمر: (إذا جاء من هذا المال شيء وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه، وما لا، فلا تتبعه نفسك) متفق عليه.

قال: نعم، ألزم التقوىٰ قلبك، وانصب الآخرة أمامك[1].

كانت قد ذهبت

قال صالح بن أحمد بن حنبل: دخلت علىٰ أبي في أيام الواثق ـ والله يعلم في أي حالة نحن ـ وقد خرج لصلاة العصر، وقد كان له لِبْدٌ[2] يجلس عليه، قد أتت عليه سنون كثيرة، حتىٰ قد بلي، فإذا تحته كتاب فيه:

بلغني يا أبا عبد الله ما أنت فيه من الضيق، وما عليك من الدَّين، وقد وجهت إليك بأربعة آلاف درهم علىٰ يدي فلان، لتقضي بها دينك، وتوسع بها علىٰ عيالك، وما هي من صدقة ولا زكاة، وإنما هو شيء ورثته من أبي.

فقرأت الكتاب ووضعته، فلما دخل قلت له: يا أبتِ ما هذا الكتاب؟

---

(١) «تهذيب حلية الأولياء» (٣/ ١٤١).

(٢) لبد: بساط من الصوف غير منسوج.

فاحمر وجهه وقال: رفعته منك، ثم قال: تذهب بجوابه.

فكتب إلىٰ الرجل: بسم الله الرحمٰن الرحيم. وصل كتابك إليّ، ونحن في عافية، فأما الدَّين فإنه لرجل لا يرهقنا، وأما عيالنا فهم في نعمة والحمد لله.

فذهبت بالكتاب إلىٰ الرجل الذي كان أوصل كتاب الرجل، فقال: ويحك، لو أن أبا عبد الله قبل هذا الشيء، ورمىٰ به ـ مثلاً ـ في دجلة كان مأجوراً، لأن هذا الرجل لا يعرف له معروف.

فلما كان بعد حين، ورد كتاب الرجل بمثل ذلك، فرد عليه الجواب بمثل ما ردَّ.

فلما مضت سنة أو أقل أو أكثر ذكرناها فقال:

لو كنا قبلناها، كانت قد ذهبت[1].

---

(١) «تهذيب حلية الأولياء» (٣/ ١٤٢). ومعنىٰ كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أن الأيام تمضي، وإنما هو طعام دون طعام وتبقىٰ النفس عزيزة موفورة الكرامة.. لم تمد يدها لأحد من الناس.

دعاء لناصح

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: كنت كثيراً أسمع والدي يقول: رحم الله أبا الهيثم، غفر الله لأبي الهيثم، عفا الله عن أبي الهيثم.

فقلت يا أبتِ من أبو الهيثم؟

فقال: لما أخرجت للسياط، ومدَّت يداي للعقابين، إذا أنا بشاب يجذب ثوبي من ورائي، ويقول لي: تعرفني؟ قلت: لا، قال: أنا أبو الهيثم العيار اللص الطرار، مكتوب في ديوان أمير المؤمنين أني ضربت ثمانية عشر ألف سوط بالتفاريق، وصبرت في ذلك علىٰ طاعة الشيطان، لأجل الدنيا، فاصبر أنت في طاعة الرحمٰن لأجل الدِّين.

قال: فضربت ثمانية عشر سوطاً بدل ما ضرب ثمانية عشر ألفاً، وخرج الخادم فقال: عفا أمير المؤمنين[1].

---

(١) «صفة الصفوة» (٢/ ٢٢٩).

خفة الحساب

كان الإمام أحمد يحب التقلل طلباً لخفة الحساب[1].

قال المروزي: سمعت أبا عبد الله يقول:

ما قَلَّ من الدنيا كان أقلَّ للحساب[2].

الشباب

قال الإمام أحمد:

ما شبهت الشباب إلا بشيء كان في كمي فسقط[3]

المبادرة بالخير

قال الإمام أحمد:

كل شيء من الخير تهتم به، فبادر به، قبل أن يحال بينك وبينه[4].

---

(١) «ذيل طبقات الحنابلة» (١/ ٣٠٥).

(٢) «مناقب الإمام أحمد» (ص١٩٨).

(٣) «مناقب الإمام أحمد» (ص١٩٨).

(٤) «مناقب الإمام أحمد» (ص١٩٩).

أكل الحلال

قال أبو حفص الطرسوسي: ذهبت إلىٰ أبي عبد الله، فقلت: رحمك الله يا أبا عبد الله، بِمَ تلين القلوب؟

فأطرق ساعه، ثم رفع رأسه فقال: يا بني بأكل الحلال.

فمررت علىٰ بشر بن الحارث، فقلت له: يا أبا نصر، بِمَ تلين القلوب؟ قال: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨] قلت: فإني جئت من عند أبي عبد الله، فقال: هيه إيش قال لك أبو عبد الله؟ قلت: بأكل الحلال. فقال: جاء بالأصل.

فمررت إلىٰ عبد الوهاب بن أبي الحسن، فقلت: يا أبا الحسن، بِمَ تلين القلوب؟ قال: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ قلت: فإني جئت من عند أبي عبد الله.

فاحمرت وجنتاه من الفرح، وقال لي: إيش قال أبو عبد الله؟ فقلت: قال: بأكل الحلال، فقال: جاءك بالجوهر، جاءك بالجوهر، الأصل كما

قال، الأصل كما قال[1].

نيّة الخير

قال عبد الله بن أحمد: قلت يوماً لأبي: أوصني.

فقال: يا بني! انوِ الخير، فإنك لا تزال بخير ما نويت الخير[2].

الواعظ الصادق

قال الإمام أحمد:

ما أحوج الناس إلىٰ قاصٍ صادق[3].

علم الكلام

قال الإمام أحمد:

لا يفلح صاحب الكلام أبداً، ولا تكاد ترىٰ أحداً نظر في الكلام إلا وفي قلبه دغل[4].

---

(١) «تهذيب حلية الأولياء» (٣/ ١٤٤).

(٢) «مناقب الإمام أحمد» (ص٢٠٠).

(٣) «إحياء علوم الدين» (١/ ٤٩)، طبعة دار الخير.

(٤) «إحياء علوم الدين» (١/ ١٢٤).

تمزح بالدِّين!!

سمع أحمد بن حنبل يحيىٰ بن معين ـ وكانت بينهما صحبة طويلة ـ يقول: إني لا أسأل أحداً شيئاً، ولو أعطاني الشيطان شيئاً لأكلته.

فهجره أحمد، حتىٰ اعتذر وقال: كنت أمزح.

فقال أحمد: تمزح بالدِّين؟! أما علمت أن الأكل من الدِّين؟ قدمه تعالىٰ علىٰ العمل الصالح فقال: ﴿كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾[1] [المؤمنون: ٥١].

إمام في العلم

قال الإمام أحمد:

إياك أن تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام[2].

قال ابن تيمية: وإمامه في هذه المسألة هو ابن عباس[3].

---

(١) «إحياء علوم الدين» (٢/ ١٦٢)، طبعة دار الخير.

(٢) «مناقب الإمام أحمد» (ص١٧٨).

(٣) «فتاوىٰ ابن تيمية» (٣٢/ ٢٩٧).

العلم الذي يفوت

قال يحيىٰ بن معين لأحمد بن حنبل ـ وقد رآه يمشي خلف بغلة الشافعي ـ: يا أبا عبد الله، تركت حديث سفيان بعلوه، وتمشي خلف بغلة هذا الفتىٰ وتسمع منه. !!

فقال له أحمد: لو عرفت، لكنت تمشي من الجانب الآخر، إن علم سفيان إن فاتني بعلو، أدركته بنزول، وإن عقل هذا الشاب إن فاتني لم أدركه بعلو ولا نزول[1].

قل عليَّ رقيب

قال ثعلب ـ أحمد بن يحيىٰ ـ: كنت أحب أن أرىٰ أحمد بن حنبل، فصرت إليه، فلما دخلت عليه، قال: من الرجل؟ قلت: ثعلب، فقال: ما الذي تطلب

(١) «إحياء علوم الدين» (١/ ١٩١ ـ ١٩٢).

وقول الإمام أحمد رحمه الله درس عظيم في ترتيب الأمور حسب الأولوية، فالعلم الذي يفوت في وقت ما، يقدم علىٰ ما لا يفوت، وهذه قاعدة مهمة وهي اعتبار سلم الأولويات في شؤون الحياة كلها.

من العلم؟ قلت: القوافي والشعر، فقال: اكتب، ثم أملىٰ عليَّ:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل
خلوت ولكن قل عليَّ رقيب
ولا تحسبنَّ الله يغفل ساعة
ولا أنَّ ما نخفي عليه يغيب
لهونا عن الأيام حتىٰ تتابعت
ذنوب علىٰ آثارهنَّ ذنوب
فياليت أن الله يغفر ما مضىٰ
ويأذن في توباتنا فنتوب
إذا ما مضىٰ القرن الذي أنت فيهم
وخلفت في قرن فأنت غريب(١)

ويبقىٰ الإثم والعار

قال علي بن خشرم: سمعت أحمد يقول:

تفنىٰ اللذاذة ممن نال صفوتها
من الحرام ويبقىٰ الإثم والعار

---

(١) «مناقب الإمام أحمد» (ص٢٠٥).

تبقىٰ عواقب سوء من مغبتها
لا خير في لذة من بعدها النار[1]

الإخلاص

قال الإمام أحمد:

الإخلاص: أن يكون عملك ـ من عبادة، واجتناب محرمات، وكل برّ وتقوىٰ ـ خالصاً بالقصد لله سبحانه.

والإخلاص روح العمل، والعمل بغير روح عمل ميت فلا الله يقبله، ولا هو بمنج من النار[2].

الأعمال بالنيات

قال الإمام أحمد:

يقول ﷺ: (إنما الأعمال بالنيات).

أي: إن أمراً ما لا يتحول من العادة إلىٰ العبادة إلا بالنية[3].

---

(١) «مناقب الإمام أحمد» (ص٢٠٥).

(٢) «أحمد بن حنبل» لعبد الغني الدقر، سلسلة أعلام المسلمين، (ص٢٦٨) نقلاً عن ابن عساكر.

(٣) المرجع قبله.

والنية: أن تستحضر في نفسك وقلبك أن ما تقدمُ عليه من عبادة أو عمل، لا تقصد بهما إلا إلىٰ الله وحده، غير مشرك بالعمل أحداً معه.

والنية والإخلاص واحد[1].

الرياء

قال الإمام أحمد:

أما الرياء، فما أقل من تخلص منه.

ودبيب الرياء إلىٰ القلب أخفىٰ من دبيب النمل.

وما تغلب عليه إلا أولئك الذين تحققوا أن لا إلٰه إلا الله، فلا نافع ولا ضار، ولا معطي ولا مانع إلا هو سبحانه.

الزهد لا يحسن إلا بالزهد

قال إسحاق بن هانئ النيسابوري: قال لي أبو عبد الله: بكِّر يوماً حتىٰ تعارضني بشيء من الزهد[2].

---

(١) «أحمد بن حنبل» (٢٦٨).

(٢) «مناقب الإمام أحمد» (ص٢٤٦).

فبكرت إليه، وقلت لأم ولده: أعطني حصيراً ومخدة، فبسطته في الدهليز، فخرج أبو عبد الله ومعه الكتب والمحبرة، فنظر إلىٰ الحصير والمخدة فقال: ما هذا؟

فقلت: لتجلس عليه.

فقال: ارفعه، الزهد لا يحسن إلا بالزهد[1].

فرفعته، وجلس علىٰ التراب[2].

لا، بعد

قال عبد الله بن أحمد: لما حضرت أبي الوفاة، جلست عنده، فجعل يعرق ثم يفيق، ثم يفتح عينيه ويقول بيده هكذا: لا بعد، لا بعد، ففعل هذا مرة وثانية.

فلما كان في الثالثة قلت له: يا أبتِ، أيُّ شيء هذا، قد لهجت به في هذا الوقت؟ تعرق حتىٰ نقول قد قضيت، ثم تعود فتقول: لا بعد، لا بعد.

---

(١) «صفة الصفوة» (٢/ ٢٣٣).

(٢) «مناقب الإمام أحمد» (ص١٧٦).

فقال لي: يا بني ما تدري ما قلت؟ قلت: لا.

فقال: إبليس لعنه الله قائم حذائي، عاض علىٰ أنامله يقول لي: يا أحمد فتني، فأقول: لا بعد، لا بعد، حتىٰ أموت[1].

أصول الدين

قال الإمام أحمد:

أجمع سبعون رجلاً من التابعين، وأئمة المسلمين، وفقهاء الأمصار:

علىٰ أن السنة التي توفي عليها رسول الله ﷺ:

أولها الرضا بقضاء الله، والتسليم لأمره، والصبر تحت حكمه.

والأخذ بما أمر الله به، والنهي عما نهىٰ عنه. وإخلاص العمل لله.

والإيمان بالقدر خيره وشره، وترك المراء والجدال والخصومات في الدين[2].

---

(١) «صفة الصفوة» (٢/ ٢٣٣).

(٢) «مناقب الإمام أحمد» (ص١٧٦).


دُرُوسٌ فِي الصَّبْرِ وَالثَّبَات
(المِحْنَة)

تمهيـــد:

المحنة التي حملت اسم «خلق القرآن» سببها أن المعتزلة كان من عقيدتهم نفي الصفات عن الله تعالىٰ، ورأوا أن التعبير السائد بين الناس من أن القرآن «كلام الله» يوحي بإثبات صفة الكلام لله تعالىٰ. فذهبوا إلىٰ أن القرآن «مخلوق».

وقد كانت لهم الحظوة عند الخليفة المأمون. وكان لهم من المنطق والحجج الفلسفية ما يؤيدون به ما ذهبوا إليه.. واستطاعوا إقناع المأمون بذلك.

وعندها بدأت المحنة بعزل كل المخالفين من مناصب الدولة، ثم تطورت إلىٰ مناظرة الشيوخ والعلماء، ثم إلىٰ إلزام الناس بذلك ومن عارض ذلك اضطهد.. حتىٰ وصل الأمر إلىٰ قتل المخالفين.

وفي الصفحات التالية أنقل بعض النصوص التي تصور لنا بعض المشاهد من محنة الإمام أحمد وما لاقىٰ في سبيل موقفه من رفض القول بذلك. وذلك من كتاب «تاريخ الإسلام» للذهبي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ.

قال الحافظ الذهبي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ:

ما زال المسلمون علىٰ قانون السلف، من أن القرآن كلام الله تعالىٰ ووحيه وتنزيله غير مخلوق، حتىٰ نبغت المعتزلة والجهمية، فقالوا بخلق القرآن، مستترين بذلك في دولة الرشيد.

فروىٰ محمد بن نوح: أن هارون الرشيد قال: بلغني أن بشر بن غياث يقول: القرآن مخلوق، لله عليَّ إن أظفرني به لأقتلنه.

وكان بشر متوارياً أيام الرشيد، فلما مات ظهر بشر، ودعا إلىٰ الضلالة.

قلت: ثم إن المأمون نظر في الكلام، وباحث المعتزلة، وبقي يقدم رجلاً ويؤخر أخرىٰ في دعاء الناس إلىٰ القول بخلق القرآن، إلىٰ أن قوي عزمه علىٰ ذلك في السنة التي مات فيها.

(١)

المحنة في عهد المأمون

قال صالح بن أحمد بن حنبل: حُمل أبي ومحمد بن نوح مقيدين، فصرنا معهما إلىٰ الأنبار، فسأل أبو بكر الأحول أبي، فقال: يا أبا عبد الله، إن

عرضت علىٰ السيف تجيب؟ قال: لا، ثم سُيِّرا.

فسمعت أبي يقول: صرنا إلىٰ الرحبة، ورحلنا منها، وذلك في جوف الليل، فعرض لنا رجل فقال: أيكم أحمد بن حنبل؟ فقيل له: هذا، فقال للجمّال: علىٰ رسلك، ثم قال: يا هذا، ما عليك أن تقتل هاهنا وتدخل الجنة، ثم قال: أستودعك الله، ومضىٰ.

قال أبي: فسألت عنه، فقيل لي: هذا رجل من العرب من ربيعة، يعمل الشعر في البادية، يقال له: جابر بن عامر، يذكر بخير.

قال الإمام أحمد: ما سمعت كلمة منذ وقعت في هذا الأمر أقوىٰ من كلمة أعرابي كلمني بها في رحبة طوق، قال: يا أحمد، إن يقتلك الحق مت شهيداً، وإن عشت عشت حميداً، فقوي قلبي.

قال صالح بن أحمد: قال أبي: صرنا إلىٰ أذنة ـ بلد قرب المصيصة ـ ورحلنا منها في جوف الليل، وفتح لنا بابها، فإذا رجل قد دخل، فقال: البشرىٰ، قد مات الرجل ـ يعني: المأمون ـ قال أبي: وكنت أدعو الله أن لا أراه.

(٢)

المحنة في عهد المعتصم

قال صالح: لما صدر أبي ومحمد بن نوح إلىٰ طرسوس رُدًّا في أقيادهما، فلما صارا إلىٰ الرقة حملا في سفينة، فلما وصلا إلىٰ «عانات» توفي محمد، فأطلق عنه القيد وصلىٰ عليه أبي.

قال أبو عبد الله: ما رأيت أحداً علىٰ حداثة سنه، وقدر علمه، أقوم بأمر الله من محمد بن نوح، وإني لأرجو أن يكون قد ختم له بخير. قال لي ذات يوم: يا أبا عبد الله، الله الله، إنك لست مثلي، إنك رجل يُقْتَدىٰ بك، قَدَّمت الخلق أعناقهم إليك لما يكون منك، فاتق الله، واثبت لأمر الله، أو نحو هذا.

قال صالح: وصار أبي إلىٰ بغداد مقيداً، فمكث بالياسرية أياماً، ثم حبس في دار اكتريت عند دار عمارة، ثم نقل بعد ذلك إلىٰ حبس العامة في درب الموصلية، فقال أبي: كنت أصلي بأهل السجن وأنا مقيد، فلما كان في رمضان سنة تسع عشرة حُوِّلت إلىٰ دار إسحاق بن إبراهيم.

قال أحمد: فكان يوجه إليَّ كل يوم برجلين،

أحدهما يقال له: أحمد بن رباح، والآخر أبو شعيب الحجام، فلا يزالان يناظراني، حتىٰ إذا أرادا الانصراف دُعي بقيد فزيد في قيودي، فصار في رجلي أربعة أقياد.

قال أحمد: فلما كان في اليوم الثالث، دخل عليَّ أحد الرجلين فناظرني، فقلت له: ما تقول في علم الله؟ قال: علم الله مخلوق، فقلت له: كفرت. فقال الرسول الذي كان يحضر من قبل إسحاق بن إبراهيم: إن هذا رسول المعتصم، فقلت له: إن هذا قد كفر.

فلما كان في الليلة الرابعة، وجه المعتصم ببغا، الذي كان يقال له: الكبير، إلىٰ إسحاق فأمر بحملي إليه.

فأدخلت علىٰ إسحاق، فقال: يا أحمد، إنها والله نفسك، إنه لا يقتلك بالسيف، إنه قد آلىٰ إن لم تجبه أن يضربك ضرباً بعد ضرب، وأن يقتلك في موضع لا تُرىٰ فيه شمس ولا قمر، أليس قد قال الله ﷻ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣] أفيكون مجعولاً إلا مخلوقاً؟

فقلت: قد قال الله تعالىٰ: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾ [الفيل] أفخلقهم؟ قال: فسكت.

فلما صرنا إلىٰ الموضع المعروف بباب البستان، أُخرجت وجيء بدابة فحملت عليها، وعلي الأقياد، ما معي من يمسكني، فكدت غير مرة أن أخرَّ علىٰ وجهي لثقل القيود.

فجيء بي إلىٰ دار المعتصم، فأدخلت حجرة، وأدخلت إلىٰ بيت، وأقفل الباب عليَّ وذلك في جوف الليل، وليس في البيت سراج، فأردت أن أتمسح ـ أتيمم ـ للصلاة، فمددت يدي، فإذا أنا بإناء فيه ماء وطست موضوع، فتوضأت وصليت.

فلما كان من الغد، أخرجت تكتي من سراويلي، وشددت بها الأقياد أحملها، وعطفت سراويلي.

فجاء رسول المعتصم فقال: أجب، فأخذ بيدي وأدخلني عليه، والتكة في يدي أحمل بها الأقياد، وإذا هو جالس، وابن أبي دؤاد حاضر، وقد جمع خلقاً كثيراً من أصحابه.

فقال لي المعتصم: ادنه، ادنه، فلم يزل يدنيني حتىٰ قربت منه، ثم قال لي: اجلس. فجلست، وقد أثقلتني الأقياد.

فمكثت قليلاً ثم قلت: أتأذن لي في الكلام.

فقال: تكلم.

فقلت: إلىٰ ما دعا الله ورسوله؟

فسكت هنيهة، ثم قال: إلىٰ شهادة أن لا إلٰه إلا الله.

فقلت: فأنا أشهد أن لا إلٰه إلا الله، ثم قلت: إن جدك ابن عباس يقول: «لما قدم وفد عبد القيس علىٰ رسول الله ﷺ سألوه عن الإيمان؟ فقال: (أتدرون ما الإيمان؟) قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: (شهادة أن لا إلٰه إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة. وأن تعطوا الخمس من المغنم).

قال أبي قال ـ يعني: المعتصم ـ لولا أني وجدتك في يد من كان قبلي ما عرضت لك. ثم قال: يا عبد الرحمٰن بن إسحاق، ألم آمرك برفع المحنة؟

فقلت: الله أكبر، إن في هذا لفرجاً للمسلمين.

ثم قال لهم: ناظروه، وكلموه، يا عبد الرحمٰن، كلمه.

فقال لي عبد الرحمٰن: ما تقول في القرآن؟

قلت له: ما تقول في علم الله؟ فسكت.

فقال لي بعضهم: أليس قال الله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الرعد: ١٦، والزمر: ٦٢] والقرآن أليس هو شيء؟

فقلت: قال الله تعالىٰ: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف: ٢٥] فدمرت إلا ما أراد الله؟

فقال بعضهم: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢] أفيكون محدث إلا مخلوقاً؟

فقلت: قال الله: ﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾﴾ [صٓ] فالذكر هو القرآن، ويلك! أليس فيها ألف ولام؟

وذكر بعضهم حديث عمران بن حصين: (إن الله عزّ وجلّ خلق الذكر).

فقلت: هذا خطأ، حدثنا غير واحد (إن الله كتب الذكر).

واحتجوا بحديث ابن مسعود: (ما خلق الله من جنة ولا نار، ولا سماء ولا أرض، أعظم من آية الكرسي).

فقلت: إنما وقع الخلق علىٰ الجنة والنار والسماء والأرض، ولم يقع علىٰ القرآن.

فقال بعضهم: حديث حباب (يا هنتاه، تقرب إلىٰ الله بما استطعت، فإنك لن تتقرب إليه بشيء أحب إليه من كلامه).

فقلت، هكذا هو.

قال صالح بن أحمد: فجعل أحمد بن أبي دؤاد ينظر إلىٰ أبي كالمغضب.

قال أبي: وكان يتكلم هذا فأرد عليه، ويتكلم هذا فأرد عليه، فإذا انقطع الرجل منهم، اعترض ابن أبي دؤاد فيقول: يا أمير المؤمنين، هو ـ والله ـ ضال مبتدع. فيقول: كلموه، ناظروه.

فيكلمني هذا فأراد عليه، ويكلمني هذا فأرد عليه، فإذا انقطعوا، يقول لي المعتصم: ويحك يا أحمد، ما تقول؟

فأقول: يا أمير المؤمنين، أعطوني شيئاً من كتاب الله أو سنة رسول الله حتىٰ أقول به.

فيقول ابن أبي دؤاد: أنت لا تقول إلا ما في كتاب الله أو سنة رسوله؟

فقلت له: كما تأولت تأويلات، فأنت أعلم، وما تأولت ما يحبس عليه وما يقيد عليه!!

قال أبو عبد الله: ولقد احتجوا عليَّ بشيء، ما يقوىٰ قلبي ولا ينطلق لساني أن أحكيه، أنكروا الآثار؛ وما ظننتهم علىٰ هذا حتىٰ سمعت مقالتهم، وجعلوا يدعون بقول الخصم وكذا وكذا.

قال صالح بن أحمد: وجعل ابن أبي دؤاد يقول: يا أمير المؤمنين، لئن أجابك لهو أحب إليَّ من مائة ألف دينار، ومائة ألف دينار، فيعد من ذلك ما شاء الله أن يعد..

فقال المعتصم: والله لئن أجابني لأطلقن عنه بيدي، ولأركبن إليه بجندي، ولأطأن عقبه.

ثم قال: يا أحمد، والله إني عليك لشفيق، وإني لأشفق عليك كشفقتي علىٰ هارون ابني، ما تقول؟

فأقول: أعطوني شيئاً من كتاب الله أو سنة رسوله.

فلما طال المجلس ضجر وقال: قوموا، وحبسني - يعني عنده - وعبد الرحمٰن بن إسحاق يكلمني.

فقال المعتصم: ويحك أجبني.. ألم تكن تأتينا؟

فقال عبد الرحمٰن بن إسحاق: يا أمير المؤمنين، أعرفه منذ ثلاثين سنة، يرىٰ طاعتك والجهاد والحج معك.

قال: فيقول: إنه لعالم إنه لفقيه، وما يسوؤني أن يكون معي يرد عني أهل الملل، ثم قال لي: ما كنت تعرف صالحاً الرشيدي؟

قلت: قد سمعت باسمه.

قال: كان مؤدبي، وكان في ذلك الموضع جالساً، وأشار إلىٰ ناحية من الدار، فسألته عن القرآن، فخالفني، فأمرت به فوطئ وسحب.

ثم قال: يا أحمد، أجبني إلىٰ شيء لك فيه أدنىٰ فرج، حتىٰ أطلق عنك بيدي.

قلت: أعطوني شيئاً من كتاب الله أو سنة رسوله.

فطال المجلس وقام، ورددت إلىٰ الموضع الذي كنت فيه.

* * *

فلما كان بعد المغرب، وجَّه إليَّ رجلين من أصحاب ابن أبي دؤاد، يبيتان عندي، ويناظراني ويقيمان معي، حتىٰ إذا كان وقت الإفطار جيء بالطعام، ويجتهدان بي أن أفطر فلا أفعل.

ووجَّه إليَّ المعتصم ابنَ أبي دؤاد في بعض الليل، فقال: يقول لك أمير المؤمنين: ما تقول؟ فأردّ عليه نحواً مما كنت أردُّ.

فقال ابن أبي دؤاد: والله! لقد كتب اسمك في السبعة ـ يحيىٰ بن معين وغيره ـ فمحوته، ولقد ساءني أخذهم إياك، ثم يقول: إن أمير المؤمنين قد حلف أن يضربك ضرباً بعد ضرب، وأن يلقيك في موضع لا ترىٰ فيه الشمس، ويقول: إن أجابني جئت إليه حتىٰ أطلق عنه بيدي، وانصرف.

فلما أصبح جاء رسوله، فأخذ بيدي، حتىٰ ذهب بي إليه، فقال لهم: ناظروه، وكلموه، فجعلوا يناظروني، فأرد عليهم، فإذا جاؤوا بشيء من الكلام مما ليس في الكتاب والسنة قلت: ما أدري ما هذا؟ قال: يقولون: يا أمير المؤمنين، إذا توجهت له الحجة علينا ثبت، وإذا كلمناه بشيء يقول: لا أدري ما هذا؟ فقال: ناظروه.

فقال رجل: يا أحمد، أراك تذكر الحديث وتنتحله.

قلت: ما تقول في ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ﴾؟ [النساء: ١١]

قال: خصَّ الله بها المؤمنين.

قلت: ما تقول إن كان قاتلاً أو عبداً؟ فسكت.

وإنما احتججت عليهم بهذا لأنهم كانوا يحتجون بظاهر القرآن، حيث قال لي: أراك تنتحل الحديث، فاحتججت بالقرآن. فلم يزالوا كذلك إلىٰ قرب الزوال، فلما ضجر، قال لهم: قوموا، وخلا بي وبعبد الرحمٰن بن إسحاق، فلم يزل يكلمني.

ثم قال أبي: فقام ودخل، ورددت إلىٰ الموضع.

* * *

المحنة والتعذيب:

قال: فلما كان في الليلة الثالثة، قلت: خليق أن يحدث غداً من أمري شيء، فقلت لبعض من كان معي، الموكل بي: أرتد لي خيطاً، فجاءني بخيط، فشددت به الأقياد، ورددت التكة إلىٰ سراويلي، مخافة أن يحدث من أمري شيء فأتعرَّىٰ.

فلما كان من الغد في اليوم الثالث، وجّه إلي، فأُدخلت. فإذا الدار غاصة، فجعلت أدخل من موضع إلىٰ موضع، وقوم معهم السيوف، وقوم معهم السياط، وغير ذلك. ولم يكن في اليومين الماضيين كبير أحد من هؤلاء.

فلما انتهيت إليه، قال: اقعد، ثم قال: ناظروه، كلموه، فجعلوا يناظروني، ويتكلم هذا فأرد عليه، ويتكلم هذا فأرد عليه، وجعل صوتي يعلو أصواتهم.

فلما طال المجلس، نحاني ثم خلا بهم، ثم

نحاهم وردني إلىٰ عنده، فقال: ويحك يا أحمد، أجبني حتىٰ أطلق عنك بيدي، فرددت عليه نحواً مما كنت أرد.

فقال لي: عليك، وذكر اللعن، وقال: خذوه، واسحبوه، وخلعوه.

قال: فسُحِبْتُ ثم خُلّعتُ، وقد كان صار إليّ شَعْرٌ من شعر النبي ﷺ في كم قميصي، فوجّه إلي إسحاق بن إبراهيم: ماهذا المصرور في كم قميصك؟

قلت: شَعْرٌ من شعر رسول الله ﷺ.

قال: وسعىٰ بعض القوم إلىٰ القميص ليخرقه علي، فقال لهم ـ يعني المعتصم ـ: لا تخرقوه، فنزع القميص عني.

قال: فظننت أنه إنما درئ[1] عن القميص الخرق بسبب الشعر الذي كان فيه.

قال: وجلس المعتصم علىٰ كرسي، ثم قال: العقابين والسياط. فجيء بالعقابين، فمُدَّت يداي، قال بعض من حضر خلفي: خذ الخشبتين بيديك وشدّ

---

(١) أي منع.

عليهما. فلم أفهم ما قال، فتخلعت يداي.

قال صالح: قال أبي: لما جيء بالسياط، نظر إليها المعتصم وقال: ائتوني بغيرها، ثم قال للجلادين. تقدموا، فجعل يتقدم إليّ الرجل منهم فيضربني سوطين، وهو يقول في كل ذلك: شد، قطع الله يدك.

فلما ضربت تسعة عشر سوطاً، قام إليّ المعتصم وقال: يا أحمد، علامَ تقتل نفسك؟ إني والله عليك لشفيق!

قال: فجعل عُجَيْف ينخسني بقائمة سيفه، وقال: أتريد أن تغلب هؤلاء كلهم؟

وجعل بعضهم يقول: الخليفة علىٰ رأسك قائم.

وقال بعضهم: يا أمير المؤمنين، دمه في عنقي، اقتله! وجعلوا يقولون: يا أمير المؤمنين، أنت صائم، وأنت في الشمس قائم!!

فقال لي: ويحك يا أحمد، ما تقول؟

فأقول: أعطوني شيئاً من كتاب الله، أو سنة رسول الله ﷺ أقول به.

فرجع وجلس، وقال للجلاد: تقدم وأوجع، قطع الله يدك..

ثم قام الثانية، فجعل يقول: ويحك يا أحمد، أجبني، فجعلوا يقبلون عليّ ويقولون: يا أحمد، إمامك علىٰ رأسك قائم، وجعل عبد الرحمٰن يقول: من صنع من أصحابك في هذا الأمر ما تصنع؟ وجعل المعتصم يقول: ويحك، أجبني إلىٰ شيء لك فيه أدنىٰ فرج حتىٰ أطلق عنك بيدي.

فقلت: يا أمير المؤمنين، أعطوني شيئاً من كتاب الله.

فرجع، وقال للجلادين: تقدموا، فجعل الجلاد يتقدم ويضربني سوطين ويتنحىٰ، وهو في خلال ذلك يقول: شدّ، قطع الله يدك.

قال أبي: فذهب عقلي، فأفقت بعد ذلك، فإذا الأقياد قد أطلقت عني، فقال لي رجل ممن حضر: إنا كببناك علىٰ وجهك، وطرحنا علىٰ ظهرك سارية، ودسناك.

قال أبي: فما شعرت بذلك، وأتوني بسويق

فقالوا لي: اشرب وتقيأ. فقلت: لا أفطر، ثم جيء بي إلىٰ دار إسحاق بن إبراهيم، فحضرت صلاة الظهر، فتقدم ابن سماعة فصلىٰ، فلما انفتل من الصلاة قال لي: صليت والدم يسيل في ثوبك؟

فقلت: قد صلىٰ عمر وجرحه يثغب دماً.

* * *

قال صالح: ثم خلي عنه فصار إلىٰ منزله، وكان مكثه في السجن منذ أخذ وحمل إلىٰ أن ضرب وخلي عنه، ثمانية وعشرين شهراً.

قال صالح: كنت التمس وأحتال أن أوصل إليه طعاماً أو رغيفاً في تلك الأيام فلم أقدر.

قال: وأخبرني رجل حضره، أنه تفقده في هذه الأيام الثلاثة وهم يناظرونه، فما لحن في كلمة، قال: وما ظننت أن أحداً يكون في مثل شجاعته وشدة قلبه.

قال حنبل: سمعت أبا عبد الله يقول: ذهب عقلي مراراً، فكان إذا رفع عني الضرب رجعت إليَّ نفسي، وإن استرخيت وسقطت رفع الضرب، أصابني ذلك مراراً. ورأيته ـ يعني المعتصم ـ قاعداً في الشمس بغير

مظلة، فسمعته وقد أوقفت يقول لابن أبي دؤاد: لقد ارتكبت في أمر هذا الرجل. فقال: يا أمير المؤمنين، إنه كافر مشرك، قد أشرك من غير وجه.

وقال محمد بن أبي سمينة: سمعت «شاباص» التائب يقول: لقد ضربت أحمد ثمانين سوطاً لو ضربته فيلاً لهدته.

وقال أبو محمد الطفاوي لأحمد: يا أبا عبد الله، أخبرني عما صنعوا بك؟

قال: لما ضربت جاء ذاك الطويل اللحية ـ يعني عجيفاً ـ فضربني بقائم سيفه، فقلت: جاء الفرج، يضرب عنقي وأستريح، فقال ابن سماعة: يا أمير المؤمنين، اضرب عنقه ودمه في رقبتي. قال ابن أبي دؤاد: لا يا أمير المؤمنين، لا تفعل، فإنه إن قتل أو مات في دارك، قال الناس: صبر حتىٰ قتل، فاتخذوه إماماً، وثبتوا علىٰ ما هم عليه، ولكن أطلقه الساعة، فإن مات خارجاً عن منزلك شك الناس في أمره.

خوف المعتصم علىٰ حياة أحمد:

قال أبو زرعة: دعا المعتصم بعم أحمد بن

حنبل، ثم قال للناس: تعرفونه؟ قالوا: نعم هو أحمد بن حنبل، قال: فانظروا إليه، أليس هو صحيح البدن؟ قالوا: نعم.

ولولا أنه فعل ذلك لكنت أخاف أن يقع شيء لا يقام له.

قال: فلما قال قد سلمته إليكم صحيح البدن، هدأ الناس وسكنوا.

• قال صالح: صار أبي إلىٰ المنزل، ووجه إليه من السحر من يبصر الضرب والجراحات، ويعالج منها، فنظر إليه فقال لنا: والله لقد رأيت من ضُرِب ألف سوط. ما رأيت ضرباً أشد من هذا، لقد جر عليه من خلفه ومن قدامه، فجعل يأتيه ويعالجه.

وكان قد أصاب وجهه غير ضربة، ثم مكث يعالجه إلىٰ ما شاء الله. ثم قال: إن هاهنا شيئاً أريد أن أقطعه، فجاء بحديدة فجعل يعلق اللحم بها ويقطعه بسكين. وهو صابر يحمد الله، فبرأ، ولم يزل يتوجع من مواضع منه، وكان أثر الضرب بيّناً في ظهره إلىٰ أن توفي.

وسمعت أبي يقول: والله لقد أعطيت المجهود من نفسي، ووددت أني أنجو من هذا الأمر كفافاً، لا علي، ولا لي.

وكان المعتصم أمر إسحاق بن إبراهيم أن لا يقطع عنه خبره، وذلك أنه أنزل ـ فيما حكي لنا ـ عند الإياس منه، وبلغنا أن المعتصم ندم وأسقط في يده، حتىٰ صلح، فكان صاحب الخبر إسحاق يأتينا كل يوم يتعرف خبره، حتىٰ صح. وسمعته يقول: كل من ذكرني في حل إلا مبتدع. وقد جعلت أبا إسحاق ـ يعني المعتصم ـ في حل، ورأيت الله تعالىٰ يقول: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢] وأمر النبي ﷺ أبا بكر بالعفو في قصة مسطح، قال أبو عبد الله: العفو أفضل، وما ينفعك أن يعذب المسلم في سببك.

(٣)

المحنة في عهد الواثق

قال حنبل: لم يزل أبو عبد الله ـ بعد أن برئ من مرضه ـ يحضر الجمعة والجماعة، ويفتي ويحدث، حتىٰ مات المعتصم وولي ابنه الواثق.

فأظهر ـ الواثق ـ ما أظهر من المحنة، والميل إلىٰ ابن أبي دؤاد وأصحابه.

فلما اشتد الأمر علىٰ أهل بغداد، وأظهر القضاة المحنة.. كان أبو عبد الله يشهد الجمعة ويعيد الصلاة إذا رجع، ويقول: الجمعة تؤتىٰ لفضلها، والصلاة تعاد خلف من قال بهذه المقالة.

وجاء نفر إلىٰ أبي عبد الله، وقالوا: هذا الأمر قد فشا وتفاقم، ونحن نخافه علىٰ أكثر من هذا، وذكروا أن ابن أبي دؤاد [عازم] علىٰ أن يأمر المعلمين بتعليم الصبيان في الكتاب مع القرآن، القرآن كذا وكذا. فنحن لا نرضىٰ بإمارته، فمنعهم من ذلك[1]، وناظرهم.

فبينا نحن في أيام الواثق، إذ جاء يعقوب ليلاً برسالة إسحاق بن إبراهيم إلىٰ أبي عبد الله: يقول لك الأمير، إن أمير المؤمنين قد ذكرك، فلا يجتمعنَّ إليك أحد، ولا تساكني بأرض ولا مدينة أنا فيها، فاذهب حيث شئت من أرض الله.

---

(١) كان مراد الناس الخروج علىٰ الواثق، فمنعهم الإمام أحمد وناظرهم.

فاختفىٰ أبو عبد الله بقية حياة الواثق في غير منزله، ثم عاد إليه بعد أشهر لما طفئ خبره، ولم يزل في البيت مختفياً لا يخرج إلىٰ الصلاة ولا غيرها حتىٰ هلك الواثق.

(٤)
عهد المتوكل

قال حنبل: ولي جعفر المتوكل فأظهر الله السنة، وفرّج عن الناس. وكان أبو عبد الله يحدثنا ويحدث أصحابه في أيام المتوكل. وسمعته يقول: ما كان الناس إلىٰ الحديث والعلم أحوج منهم في زماننا.

ثم إن المتوكل بلغه أن أحمد بن حنبل ربص[١] علوياً في منزله، وأنه يريد أن يخرجه ويبايع عليه، ولم يكن عندنا علم، فبينا نحن ذات ليلة نيام في الصيف سمعنا الجلبة، ورأينا النيران في دار أبي عبد الله فأسرعنا..

---

(١) انتظر به.

وإذا أبو عبد الله قاعد في إزار، ومظفر بن الكلبي صاحب الخبر وجماعة معهم، فقرأ صاحب الخبر كتاب المتوكل:

ورد علىٰ أمير المؤمنين أن عندك علوياً، ربصته لتبايع له وتظهره، في كلام طويل، ثم قال مظفر: ما تقول؟

قال أحمد: ما أعرف من هذا شيئاً، وإني لأرىٰ له السمع والطاعة في عسري ويسري، ومنشطي ومكرهي وأثرة علي، وإني لأدعو الله له بالتسديد والتوفيق في الليل والنهار.

فقال ابن الكلبي: قد أمرني أمير المؤمنين، قال: فتشوا منزل أبي عبد الله، والسَّرَب[1] والغرف والسطوح، وفتشوا تابوت الكتب، وفتشوا النساء والمنازل.

فلم يروا شيئاً ولم يحسوا بشيء، فكتب بذلك إلىٰ المتوكل.

---

(١) حفير تحت الأرض لا منفذ له.

فوقع منه موقعاً حسناً، وعلم أن أبا عبد الله مكذوب عليه.

* * *

فلما كان بعد أيام، بينا نحن جلوس بباب الدار، إذا يعقوب أحد حجاب المتوكل قد جاء، فاستأذن علىٰ أبي عبد الله، فدخل ومع بعض غلمانه بَدْرَة(١) علىٰ بغل، ومعه كتاب المتوكل. فقرأه علىٰ أبي عبد الله.

إنه صح عند أمير المؤمنين براءة ساحتك، وقد وجه إليك بهذا المال تستعين به، فأبىٰ أن يقبله، فقال: ما لي إليه حاجة.

فقال: يا أبا عبد الله، اقبل من أمير المؤمنين ما أمرك به، فإن هذا خير لك عنده، فاقبل ولا ترده، فإنك إن رددته خفت أن يظن بك سوءاً.

فقبلها حينئذٍ، وقال: يا أبا علي، ارفع هذه البدرة.

---

(١) كيس فيه عشرة آلاف درهم، يقدم في العطايا.

ولم يستطع أبو عبد الله أن ينام، فدعا ابنه عبد الله، وجعل يتوجع لأخذه المال، فجعل يسكنه، وقال: حتىٰ تصبح وترىٰ فيه رأيك، فإن هذا ليل، والناس في منازلهم..

فلما كان السحر، وجَّه إلىٰ جماعة من الفضلاء فحضروا، وحضر ولداه: صالح وعبد الله، وجعلوا يكتبون أهل الستر والصلاح ببغداد والكوفة ممن يعلمون أنه محتاج. ففرقها كلها، ما بين الخمسين إلىٰ المائة والمائتين، فما بقي في الكيس درهم، ثم تصدق بالكيس علىٰ مسكين. اهـ[1].

* * *

ولئن انتهت مدة الاضطهاد، فإنه بولاية المتوكل بدأ فصل جديد هو محاولة المتوكل اصطناع الإمام أحمد وتقريبه منه، وقد باءت محاولاته كلها بالفشل، وكلفت الإمام أحمد من الجهد النفسي الشيء الكثير، فإنه لم يكن يقبل منه ولا من غيره شيئاً، حتىٰ إنه لم يتناول من مائدته شيئاً.

---

(١) إلىٰ هنا ما نقل عن «تاريخ الإسلام» للذهبي.

حاول المتوكل أن يرعىٰ الإمام أحمد ويكرمه.. ولكن هذه الرعاية أكربت الإمام أحمد كرباً شديداً، حتىٰ كان يبكي ويقول: سلمت من هؤلاء ستين سنة، حتىٰ إذا كان آخر عمري بليت بهم، والله لقد تمنيت الموت في الأمر الذي كان ـ أي في فتنة المعتصم ـ وإني لأتمنىٰ الموت في هذا، وذلك أن هذا فتنة الدنيا، وذلك فتنة الدين.

ثم جعل يضم أصابعه ويقول: لو كانت نفسي في يدي لأرسلتها، ويفتح أصابعه.

ولما تأكد المتوكل من عقم محاولاته اصطناع الإمام أحمد تركه وشأنه.

وانتهىٰ بذلك أمر المحنة، بعد أن استمر أربع عشرة سنة، ثبت لها الإمام أحمد بن حنبل ثبات المؤمنين الصادقين[1].

رحم الله الإمام أحمد، وجعله مع الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

---

(١) وانظر الترجمة في كتاب «الفتح الرباني» للبنا.

المحتوى